

# الأنهار

## عناصر الموضوع

٩٠	مفهوم الأنهار
٩١	الأنهار في الاستعمال القرآني
٩٢	الأنهار ذات الصلة
٩٥	الجنان وجريان الأنهار من تحتها
٩٨	الأنهار نعمة إلهية
١٠٣	الأنهار من جند الله
١٠٧	من منافع الأنهار
١١٤	أكل صيده وطعامه واستخراج حليته
١١٨	أنهار الجنة
١٢٢	الأنهار في المثل القرآني
١٢٤	الأنهار والابتلاء
١٣٥	لمسات إعجازية في الأنهار

## مفهوم الأنهار

أولاً: المعنى اللغوي .

(نهر) النون والهاء والراء أصلٌ صحيحٌ يدل على تفتح شيءٍ أو فتحه. وأنهرت الدم: فتحته وأرسلته، وأسلتته، وسمي النهر لأنه ينهر الأرض، أي: يشقها. والمنهرة: فضاءٌ يكون بين بيوت القوم يلقون فيها كناساتهم. وجمع النهر أنهارٌ ونهْرٌ ونهوْرٌ، والنهر محرّكةٌ: السعة ومجرى الماء، واستنهر النهر: أخذ لمجرأه موضعاً مكيناً، وأنهر الماء: جرى. ونهْرٌ نهْرٌ: كثير الماء<sup>(١)</sup>.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

هو مسطح مائي ينساب على اليابسة في مجرى طويل، وتبدأ معظم الأنهار من أعالي الجبال أو التلال، وقد يكون منبع النهر مثلجة، أو نهراً جليدياً ينصهر، أو ينبوعاً، أو بحيرة تفيض مياهها. ويتلقى النهر أثناء جريانه في مجراه المزيد من المياه من الجداول، والأنهار الأخرى، ومياه الأمطار. ويقع مصب النهر في نهايته، حيث تصب مياهه في نهر أكبر، أو في بحيرة، أو في أحد المحيطات<sup>(٢)</sup>.

فالأنهار: هي المجاري المائية التي تتدفق فيها المياه العذبة طوال السنة أو لعدة شهور<sup>(٣)</sup>. وقيل: النهر: الخليج الكبير. والجداول: النهر الصغير، وأنهار الجنة ليست إلا المياه؛ لأنها تجري من غير أخدود<sup>(٤)</sup>.

والنهر: الماء الجاري المتسع، ثم أطلق على الأخدود مجازاً، فيقال: جرى النهر، وجف النهر، والأصل: جرى ماء النهر، وجف ماء النهر<sup>(٥)</sup>. إذن فالأنهار هي: المجاري المائية الواسعة التي تتدفق فيها المياه العذبة.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة نهر، ٣٦٢/٥.

(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية: ٥٣٩ / ٢٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للشيخ السعدي ١ / ٨٨٩، ط مؤسسة الرسالة، ط الأولى، سنة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

(٤) انظر: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، للكفوي ١ / ٩١٠.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي ١ / ٣٣١.

## الأنهار في الاستعمال القرآني

وردت مادة (نهر) في القرآن (١٢٣) مرة، يخص موضوعنا منها (٥٤) مرة<sup>(١)</sup>.  
والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
المفرد	٣	﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف: ٣٣]
الجمع	٥١	﴿أَنْ لَّمْ يَجْنُنِي تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥]

واستعملت (الأنهار) في القرآن بمعناها اللغوي، وهو: الماء العذب الغزير الجاري،  
ومجرى الماء العذب<sup>(٢)</sup>.

(١) المعجم المفهرس، عبدالله جلغوم، ص ١٣٤٧-١٣٤٨.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٣٢٧/٥، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٩٥٧/٢.

الألفاظ ذات الصلة

١ اليم:

اليَمُّ لغة:

الياء والميم: كلمة تدل على قصد الشيء وتعمره وقصده، واليم: البحر<sup>(١)</sup>.

اليَم اصطلاحًا:

بحر؛ متسع من الأرض أصغر من المحيط مغمور بالماء المالح أو العذب<sup>(٢)</sup>.

ففي قصة أم موسى، يقول الحق: ﴿فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيَهُ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص ٧].

وكان المقصود باليم هناك: النيل، لكن المقصود به هنا في سورة الأعراف هو البحر.

﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُم فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦]<sup>(٣)</sup>.

الصلة بين النهر واليم:

اليَم في كلام العرب مرادف البحر، والبحر في كلامهم يطلق على الماء العظيم المستبحر،

فالنهر العظيم يسمى بحرًا، قال تعالى ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا

مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: ١٢]. فإن اليم من الأنهار<sup>(٤)</sup>.

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٦/ ١٥٢.

(٢) انظر: المحكم، ابن سيده، ١٠/ ٥٧٩.

(٣) المصدر السابق.

وذكر الطبري في تفسيره أن «اليَم» هو نهر النيل ١٦/ ٥٧، وكذا قال القرطبي ١١/ ١٩٤، وابن الجوزي في

زاد المسير ٣/ ١٥٨.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٠/ ٧٤.



البحر لغة:

الماء الكثير، ملحاً كان أو عذباً، وهو خلاف البر، سمي بذلك لعمقه واتساعه، قد غلب على الملح حتى قل في العذب، وجمعه أبحر وبحور وبحار. وماء بحر: ملح، قل أو كثر<sup>(١)</sup>.

قال ابن فارس: (والأنهار كلها بحار)<sup>(٢)</sup>.

البحر اصطلاحاً:

مستقر الماء الواسع بحيث لا يدرك طرفيه من كان في وسطه، وهو مأخوذ من الاتساع<sup>(٣)</sup>. وأصل البحر: كل مكان واسع جامع للماء الكثير، هذا هو الأصل، وسموا كل متوسع في شيء بحراً.

وقال بعضهم: البحر يقال في الأصل للماء الملح دون العذب<sup>(٤)</sup>.

الصلة بين النهر والبحر واليم:

النهر والبحر يلتقيان في المعنى، فكل منهما: مجرى للماء الفائض، أو: الماء الجاري المتسع، ولذا يقول ابن منظور: وقد أجمع أهل اللغة أن اليم هو البحر. وجاء في الكتاب العزيز: ﴿فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَاتَّقِهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص ٧]. قال أهل التفسير: هو نيل مصر، حماها الله تعالى<sup>(٥)</sup>.

وقد يكون البحر للمجرى المتسع للماء المالح، والنهر للمجرى المتسع للماء العذب. قال الراغب: «يقال في الأصل للماء الملح دون العذب، وقوله تعالى: ﴿الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: لسان العرب، ٤ / ٤١، مادة بحر.

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة بحر، ١ / ٢٠١.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ١ / ٧١.

(٤) الموسوعة القرآنية، ٨ / ٤٢، لإبراهيم الأبياري.

(٥) لسان العرب، ٤ / ٤٢، مادة بحر.

(٦) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ١ / ٣٦.

٣ البر:

البر لغة:

والبر، بالفتح: خلاف البحر. والبرية من الأرضيين، بفتح الباء: خلاف الريفية. والبرية: الصحراء نسبت إلى البر، ويقال: أفصح العرب أبرهم. معناه: أبعدهم في البر والبدو دارًا. وقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ﴾ [الروم: ٤١]؛ قال الزجاج: معناه: ظهر الجذب في البر والقحط في البحر، أي: في مدن البحر التي على الأنهار<sup>(١)</sup>.  
والبر: الصادق. وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]. والبر من صفات الله تعالى وتقدس: العطوف الرحيم اللطيف الكريم<sup>(٢)</sup>.

البر اصطلاحًا:

البر: خلاف البحر، وهو التراب واليابس<sup>(٣)</sup>.

الصلة بين النهر والبر:

إذا كان النهر بمعنى: مجرى الماء الفائض، أو: الخليج الكبير، أو: الماء الجاري المتسع، والبحر: مستقر الماء الواسع، وكما ذكرنا في البر أنه خلاف البحر، فيمكننا القول أيضًا: أن البر خلاف النهر، فالنهر والبر بينهما تضاد.

(١) لسان العرب، ٥٢/٤، مادة برر، وانظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة بحر، ١/١٧٩.

(٢) لسان العرب، ٥٢/٤، مادة برر.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤/٤٤، الكليات، أبو البقاء الكفوي، ١/٢٢٥.

ومن المتعارف عليه أن أول حاجات الإنسان الضرورية المكان والمسكن الذي يعيشه ويسكنه، وأحسن المكان المشتمل على النباتات والأشجار، وألفظه وأكمّله ما كان تحت قصوره الأنهار بكثرة.

ولهذا ورد في جزاء المؤمنين. ﴿وَيَشِيرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَن لَّمْ يُجَنَّبْ تَجَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥].

ثم إن أشد الحاجات الأكل والشرب اللذين يشير إليهما الجنة والنهر، ثم إن أكمل الرزق هو أن يكون مألوفاً ومأنوساً، وألذ الفاكهة أن تكون متجددة، وإن أصفى اللذة هو أن يكون المقتطف معلوماً وقريباً، وإن ألذها أن يعرف أنها ثمرة عمله.

فلهذا قال: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].<sup>(٤)</sup>

إذن فالعلة في اقتران الجنات بجريان الأنهار من تحتها هي زيادة النعيم واكتماله الذي أعده الله لأهل هذه الجنات.

قال الشيخ سعيد النورسي: أما ﴿تَجَرِي﴾ فاعلم أن أحسن الرياض ما فيها ماء، ثم

الحسين بن مهران النيسابوري، ت: ٣٨١هـ، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط: ١٩٨١ م.  
(٤) من خواطر الشعراوي ١/ ٢٠٧.

## الجنان وجريان الأنهار من تحتها

حينما نستعرض آيات القرآن الكريم نجد أن ورود الأنهار مرتبطة بالجنات في خمسة وثلاثين موضعاً<sup>(١)</sup>.

وقد ورد لفظ الأنهار مقترناً بلفظ (من تحتهم) في أربعة مواضع من القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>، وما عدا هذه المواضع الأربعة فهو مقترن بلفظ (من تحتها)، وموضع وحيد في سورة التوبة ورد بدون جر وهو في قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

خلافًا لابن كثير، الذي يقرؤها بالجر<sup>(٣)</sup>.

- (١) هي: البقرة: ٢٥، ٢٦٦، وآل عمران: ١٥، ١٣٦، ١٩٨، ١٩٥، والنساء: ١٣، ٥٧، ١٢٢، والمائدة: ١٢، ٨٥، ١١٩، والتوبة: ٧٢، ٨٩، ١٠٠، والرعد: ٣٥، وإبراهيم: ٢٣، والنحل: ٣١، والكهف: ٣١، وطه: ٧٦، والحج: ١٤، ٢٣، والفرقان: ١٠، والعنكبوت: ٥٨، ومحمد: ١٢، والفتح: ١٧، ٥٨، والحديد: ١٢، والمجادلة: ٢٢، والصف: ١٢، والتغابن: ٩، والطلاق: ١١، والتحريم: ٨، والبروج: ١١، والبيئ: ٨.  
(٢) الأنعام: ٦، والأعراف: ٤٣، ويونس: ٩، والكهف: ٣١.

- (٣) النشر في القراءات العشر، ٢/ ٢٨٠ لشمس الدين محمد بن يوسف أبو الخير ابن الجزري، ت: ٨٣٣ هـ، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، وهي قراءة متواترة، انظر: تخريج قراءات فتح القدير، لإيهاب فكري، ص ١٥٧، ط: المكتبة الإسلامية بالقاهرة وانظر: المبسوط في القراءات العشر، ١/ ٢٢٨، لأحمد بن

فهي متعة للأنظار، وبهجة للنفوس بذاتها، وفيها ثمرات شهية من كل شيء <sup>(٢)</sup>.

قال الراغب: إن قيل: لم قال: **﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾** [البقرة: ٢٥]. وقد علم أن الماء في البساتين إذا كان جارياً على وجه الأرض أحسن منها إذا كان جارياً تحتها؟ قيل: عنى أنهاراً جارية تحت الأشجار، لا تحت الأرض، وقد روي عن مسروق ما يدل على ذلك، وهو أن كل أنهار الجنة تجري في غير أخاديد <sup>(٣)</sup>.

على أن هناك آية تقول: **﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [التوبة: ١٠٠].

فما الفرق بين الاثنين؟

يقول الشعراوي في خواطره: آية تجري تحتها الأنهار، أي: أن نبع الماء من مكان بعيد وهو يمر من تحتها، أما قوله تعالى: **﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾** فكان الأنهار تنبع تحتها، حتى لا يخاف إنسان من أن الماء الذي يأتي من بعيد يقطع عنه أو يجف، وهذه زيادة لطمئنان المؤمنين، أن نعيم الجنة باق وخالد، ومادام هناك ماء فهناك

أحسنها ما يسيل ماؤها، ثم أحسنها ما استمر السيلان، فبلفظ **﴿تَجْرِي﴾** أشار إلى تصوير دوام الجريان، وأما **﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾** فاعلم أن أحسن الماء الجاري في الخضروات أن ينبع صافياً من تلك الروضة، ويمر متخزراً تحت قصورها، ويسيل منتشرًا بين أشجارها فأشار بـ **﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾** إلى هذه الثلاثة، وأما **﴿الْأَنْهَارُ﴾** فاعلم أن أحسن الماء الجاري في الجنان أن يكون كثيراً، ثم أحسنه أن تتلاحق الأمثال من جداوله، فإن بتناظر الأمثال يتزايد الحسن على قيمة الأجزاء، ثم أحسنه أن يكون الماء عذباً فراتاً لذيذاً، كما قال **﴿مَلَأَ غَيْرَ آبٍ﴾** بلفظ (نهر) وجمعه وتعريفه أشار إلى هذه <sup>(١)</sup>.

والجريان لا يكون للأنهار وإنما للماء؛ لأن الأنهار هي ما يشق في الأرض ليجري فيه الماء، فهو من إطلاق اسم المحل وإرادة الحال، مثل قوله تعالى: **﴿فَلْيَنْعِ نَادِيَهُ﴾** [العلق: ١٧].

وإن الناظر إلى الماء وهو يجري منساباً في الأرض لا يرى النهر؛ ولكن يرى الماء، فكان النهر اختفى في الماء ولا يرى غير الماء.

وإن هذه الجنات فيها بهجة للناظرين،

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، ١/ ١٧١، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، أبو زهرة ت: ١٣٩٤ هـ ط: دار الفكر العربي

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني ١/ ١٢٣ لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت: ٥٠٢ هـ، ط: أولى: ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م.

(١) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ١/ ١٩٣ لبديع الزمان سعيد النورسي ت: ١٣٧٩ هـ، تحقيق: إحسان قاسم الصالح، ط: شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط: الثالثة، ٢٠٠٢ م.



وقال السعدي: في آية سورة يونس: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ①﴾ [يونس: ٩].

﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ أي: بسبب ما معهم من الإيمان، يشيهم الله أعظم الثواب، وهو الهداية، فيعلمهم ما ينفعهم، ويمن عليهم بالأعمال الناشئة عن الهداية، ويهديهم للنظر في آياته، ويهديهم في هذه الدار إلى الصراط المستقيم وفي الصراط المستقيم، وفي دار الجزاء إلى الصراط الموصل إلى جنات النعيم.

ولهذا قال: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ الجارية على الدوام ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ أضافها الله إلى النعيم، لاشتغالها على النعيم التام، نعيم القلب بالفرح والسرور، والبهجة والحبور، ورؤية الرحمن وسماع كلامه، والاغتباط برضاه وقربه، ولقاء الأحبة والإخوان، والتمتع بالاجتماع بهم، وسماع الأصوات المطربات، والنعيمات المشجيات، والمناظر المفرحات. ونعيم البدن بأنواع المأكول والمشرب، والمناجح ونحو ذلك، مما لا تعلمه النفوس، ولا خطر ببال أحد، أو قدر أن يصفه الواصفون<sup>(٤)</sup>.

إذن فقد ورد لفظ الأنهار مرتبطاً بالجنات في خمسة وثلاثين موضعاً، والحكمة في

خضرة ومنظر جميل، ولا بد أن يكون هناك ثمر<sup>(١)</sup> وكأنه يرجع علة اقتران الجنة بجريان الأنهار إلى بث الطمأنينة من الله لأهل هذه الجنات.

وقال رشيد رضا: ويحتمل أن من في قوله ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أن يكون صلة معناه: تجري تحتها الأنهار، ويحتمل أن يكون المراد أن ماءها منها لا يجري إليها من موضع آخر، فيقال: هذا النهر منبعه من أين؟ يقال: من عين كذا من تحت جبل كذا. ولو دققنا في هذه الآية آية سورة التوبة لوجدنا أنها الآية الوحيدة التي حددت الأصناف الذين يدخلون الجنة، أما باقي الآيات إنما هي على العموم، فالحق تبارك وتعالى يشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات بجنات تجري من تحتها الأنهار، والجنات جمع جنة، وهي جمع؛ لأنها كثيرة ومتنوعة، وهناك درجات في كل جنة أكثر من الدنيا، وقرأ قوله تبارك وتعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ②﴾ [الإسراء: ٢١]<sup>(٢)</sup>.

من تحتها أي: من تحت أشجارها، الأنهار أي: ماء الأنهار، فنسب الجري إلى الأنهار توسعاً، وإنما يجري الماء وحده، فحذف اختصاراً<sup>(٣)</sup>.

(١) خواطر الشعراوي ١ / ٢٠٧.

(٢) تفسير المنار، ١١ / ١٣.

(٣) الموسوعة القرآنية، للأبياري ٩ / ٦٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ١ / ٣٥٨.

### الأنهار نعمة إلهية

#### أولاً: تسخير الأنهار:

الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق السموات والأرض وما فيهن، وهو الذي أنزل من السماء، هذا الماء الذي تتدفق به الأنهار، وتتفجر منه العيون، وتحيا عليه الزروع، وما يخرج منها من ثمر وحب، وهو سبحانه الذي سخر الفلك، وأجراها مع الماء، وسخر الأنهار لتحمل الفلك على ظهرها، وسخر الشمس والقمر تسخيرًا منتظمًا، لا يتخلف أبدًا، وسخر الليل والنهار، على هذا النظام البديع المحكم<sup>(١)</sup>. ويتعهد الله تعالى بفضله ورحمته لعباده بين الفينة والأخرى، فيذكرهم بما أنعم عليهم من نعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، ليحملهم على الشكر والطاعة، وينبههم على قدرته التي فيها إحسان إلى البشر، لتقوم الحجة عليهم من وجهين. وهذا كله دليل قاطع على وجود الله ووحدانيته، وسلطانه وتصرفه في الكون والأنفس، مما يوجب على العباد الإيمان بربهم، والثقة بوعده، وشكر إحسانه ونعمه<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى معدًا آلاءه ومذكرًا

اقتران الجنة بجريان الأنهار من تحتها هي: زيادة النعيم الذي أعده الله لأهل هذه الجنات واكتماله لهم، ويث الطمأنينة لهم من الله عز وجل.

(١) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب ١٨٥/٧.

(٢) التفسير الوسيط، الزحيلي ١٢٠٠/٢.



يمكن الإنسان إخضاع هذه المخلوقات والانتفاع بها، إذا هو عرف القوانين الكونية الممسكة بها<sup>(٣)</sup>.

وسخر لكم الأنهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم، وقيل: تسخير هذه الأشياء تعليم كيفية اتخاذها<sup>(٤)</sup>.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ أي: ذلّلها لكم حيث تشربون منها وتسقون زروعكم وجناتكم ودوابكم، وتشقون منها جداول تسيرونها وفق إرادتكم<sup>(٥)</sup>.

وسخر الأنهار تشق الأرض من قطرٍ إلى قطرٍ رزقاً للعباد من شربٍ وسقيٍّ، وغير ذلك من أنواع المنافع<sup>(٦)</sup>.

وتسخير الأنهار: خلقها على كيفية تقتضي انتقال الماء من مكانٍ إلى مكانٍ وقراره في بعض المنخفضات فيستقي منه من تمر عليه وينزل على ضفافه حيث تستقر مياهه، وخلق بعضها مستمرة القرار كالدرجة والفرات والنيل للشرب ولسير السفن فيها<sup>(٧)</sup>.

ومن المفسرين من يجعل من معاني

بقدرته: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرٍ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

قال الرازي: «يختم الله تعالى وصف أحوال السعداء والأشقياء بالدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته، وذكر هاهنا عشرة أنواع من الدلائل. أولها: خلق السموات. وثانيها: خلق الأرض،... إلى أن قال: وخامسها: قوله: وسخر لكم الأنهار»<sup>(١)</sup>.

التسخير: تذليل الشيء وجعله إياه منقاداً فكانك إذا سخرت منه جعلته كالمنقاد لك<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد تسخير الأنهار صريحاً في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرٍ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

والمراد بالتسخير هنا: التذليل، والإخضاع، والانتقياد، وذلك بإخضاع هذه المخلوقات لسنن وقوانين تحكمها، وتضبط موقفها بين المخلوقات، بحيث

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٩٦/١٩.

(٢) الفروق اللغوية، العسكري ٢٥٥/١.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، لعبدالكريم الخطيب ١٨٥/٧.

(٤) أنوار التنزيل، البيضاوي ٢٠٠/٣.

(٥) التفسير الوسيط، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ٤٩٩/٥.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٣٩/٤.

(٧) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٣٦/١٣.

التسخير: التفجير.

قال الرازي: «واعلم أن ماء البحر قلما ينتفع به في الزراعات، لا جرم ذكر تعالى إنعامه على الخلق بتفجير الأنهار والعيون حتى ينبعث الماء منها إلى مواضع الزرع والنبات، وأيضاً ماء البحر لا يصلح للشرب، والصالح لهذا المهم هو مياه الأنهار»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عطية: «وأما تسخير الأنهار فتفجيرها في كل بلد، وانقيادها للسقي وسائر المنافع»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾، أي: فجر لكم ينابيع الماء الجاري في الأنهار، ويسر توزيعها وتفرعها لسقي أكبر مساحة من الأرض والشجر والزرع<sup>(٣)</sup>.

وهو الذي سخر لكم الأنهار، وشقها في بطون الأودية وجعل منها حياة الأقاليم والأقطار. ألا ترى إلى نهر النيل والفرات وغيرهما؟!<sup>(٤)</sup>.

ومن باب التسخير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا قَلَبُوسًا وَلَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ مَوَازِيرُ فِيهِ وَلِتَجْتَهِقُوا مِنْ فَضْلِهِ. وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

يخبر تعالى عن تسخير البحر المتلاطم الأمواج، ويمتن على عباده بتذليله لهم وتيسيرهم للركوب فيه،... يسرون من قطر إلى قطر، ومن بلد إلى بلد، ومن إقليم إلى إقليم، لجلب ما هناك إلى ما هنا، وما هنا إلى ما هناك<sup>(٥)</sup>.

ويتضح لنا مما سبق من كلام المفسرين: أن تسخير الأنهار يدور حول: التذليل، والإخضاع، والانتقياد، وخلقها على كيفية معينة تقتضي انتقال الماء من مكان إلى مكان، وقراره في بعض الأماكن، وتفجيرها وتيسير توزيعها.

### ثانياً: تفجير الأنهار

التفجير: التفتح بالسعة والكثرة. وقرأ مالك بن دينار (ينفجر) بالنون<sup>(٦)</sup>.

وقد ورد الحديث عن تفجير الأنهار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

الأول: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ٤٨٣.

(٦) الكشف ١/ ١٥٥، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، ت: ٥٣٨هـ، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ثالثة، ١٤٠٧ هـ، البحر المحيط ١/ ٤٢٨، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، ت: ٧٤٥هـ، تحقيق: صدقي محمد جميل، نشر: دار الفكر، بيروت، ط: ١٤٢٠ هـ.

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي، ٩٨/ ١٩.

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية ٣/ ٣٣٩.

(٣) التفسير الوسيط، الزحيلي، ٢/ ١٢٠٠.

(٤) التفسير الواضح، لمحمد حجازي ٢/ ٢٦٣.

أنهار من ماء<sup>(٢)</sup>.

فكانه قيل: وإن من القاسية قلوبهم من يراجع، فبعض يتفجر منه الأنهار، ومعناه: حكمة بالغه كأنهار متفجرة، وبعض يتحصل منه نوع من العلوم يجري مجرى الماء...، ونبه بفحوى في الكلام أن هؤلاء المذمومين لم يحصل منهم شيء من ذلك فهم أحجار صلدة، وإنما قال: ﴿لَمَّا يَنْفَجَرُ مِنْهُ﴾، ولم يقل من اعتبار بلفظ الحجارة<sup>(٣)</sup>.

وسبب التفجير للأنهار إنما هو خشية الله عز وجل، قال مجاهد: كل حجر ينفجر منه الماء، وينشق عن ماء، أو يتردى من رأس جبل، فمن خشية الله<sup>(٤)</sup>.

أما عن آية سورة الإسراء فجاء في تفسيرها: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ أي: بستان ﴿فَتَفْجَرُ الْأَنْهَارُ﴾ أي: تفتحها وتجريها خلالها أي: وسط تلك الجنة<sup>(٥)</sup>.

فتجري الأنهار وسط تلك الجنة جرياناً قوياً دائماً للارتفاع بها في ري تلك الجنة وغيرها<sup>(٦)</sup>، تشقيقا<sup>(٧)</sup>.

والمعنى: هب أنك لا تفجر الأنهار

الْحِجَارَةُ لَمَّا يَنْفَجَرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشْقَىٰ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْبَطِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ [البقرة: ٧٤].

والثاني: في قوله تعالى: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَسَىٰ فَتَفْجَرُ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإسراء: ٩١].

والثالث: في قوله تعالى: ﴿كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ مَاتَ أَكْلُهُمَا وَلَمْ تَنْظُرْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾ [الكهف: ٣٣].

ويدور كلام المفسرين عن تفجير الأنهار الوارد في تلك الآيات حول المعاني الآتية: الشق والسيلان، التفتح والإجراء.

ففي آية سورة البقرة قال أبو حيان: «والتفجير: التفتح بالسعة والكثرة، والانفجار دونه، والمعنى: إن من الحجارة ما فيه خروق واسع يندفق منها الماء الكثير الغمر؛ إذ ليس المعنى ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ﴾ للحجر الذي يتفجر منه الماء، إنما المعنى للأحجار التي يتفجر منها الأنهار.

وقد ذهب بعضهم إلى أن الحجر الذي يتفجر منه الأنهار، هو الحجر الذي ضربه موسى بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا<sup>(١)</sup>.

وإن من الحجارة للذي يتفجر منه الأنهار، يعني: من الحجارة ما يسيل منه

(١) البحر المحيط، لأبي حيان ٤٢٨/١.

(٢) الوسيط، للواحيدي ١٥٩/١.

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني ٢٣٣/١.

(٤) زاد المسير، ابن الجوزي ٨٠/١.

(٥) انظر: الوسيط، للواحيدي ١٢٧/٣، وزاد

المسير، ابن الجوزي ٥٣/٣.

(٦) التفسير الوسيط، مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر ٨٠٣/٥.

(٧) معالم التنزيل، البغوي ١٦٢/٣.



والرازي يرى أنه نهر لكنه كالأنهار في امتداده فيقول: أي: كان النهر يجري في داخل تلك الجنتين، والتشديد على المبالغة؛ لأن النهر يمتد فيكون كأنهار، و﴿خَلَلَهُمَا﴾ أي: وسطهما وبينهما<sup>(٧)</sup>.

لأجلنا ففجرها من أجلك بأن تكون لك جنة من نخيل وعنبر ﴿تَفْجِرَ الْأَنْهَارَ﴾ أي: تجريها بقوة ﴿خَلَلَهُمَا تَفْجِيرًا﴾ أي: وسطها تفجيرًا كثيرًا<sup>(١)</sup>.

تفجر أنهارًا تسقي جنة واحدة تكون تلك الجنة وأنهارها لك<sup>(٢)</sup>.

وذكر المفعول المطلق بقوله: (تفجيرًا) للدلالة على التكثير؛ لأن تفجر قد كفى في الدلالة على المبالغة في الفجر، فتعين أن يكون الإتيان بمفعوله المطلق للمبالغة في العدد، وهو المناسب لقوله: ﴿خَلَلَهُمَا﴾، لأن الجنة تتخللها شعب النهر لسقي الأشجار. فجمع الأنهار باعتبار تشعب ماء النهر إلى شعب عديدة<sup>(٣)</sup>.

وفي آية سورة الكهف قال بعضهم: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ أجرينا وشققنا وسطهما<sup>(٤)</sup>.

﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ أي: وشققنا وسط الجنتين نهرًا، تتفرع عنه عدة جداول، لسقي جميع الجوانب<sup>(٥)</sup>.

﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ أي: والأنهار متفرقة فيهما هاهنا وهاهنا<sup>(٦)</sup>.

(١) فتح القدير، الشوكاني ٣/٣٠٦.

(٢) التحرير والتنوير ١٥/٢٠٨.

(٣) التحرير والتنوير ١٥/٢٠٩.

(٤) التفسير الواضح ٢/٤١٦.

(٥) التفسير الوسيط، الزحيلي ٢/١٤٢٤.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/١٤٣.

(٧) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢١/٤٦٣.

السير وبطئه بحسب ما أراد وقدر وسخر ويسر<sup>(١)</sup>.

و﴿وَأَنْهَرَا﴾ وجعل فيها أنهارا، النيل، والفرات، ودجلة، وسيحان، وجيحان<sup>(٢)</sup>.  
ثبت في العلوم العقلية أن أكثر الأنهار إنما تتفجر منابعها في الجبال، فلهذا السبب أتبع ذكرها بتفجير الأنهار<sup>(٣)</sup>.

وفي الأرض نعم كثيرة، أهمها ثلاث: وهي تثبيت الأرض بالجبال الراسيات، كيلا تضطرب الأرض وتتحرك بأهلها، وإجراء الأنهار على وجه الأرض لتيسير الانتفاع بها، ففيها حياة الإنسان والحيوان والنبات<sup>(٤)</sup>.

هو الذي ألقى في الأرض رواسي من الجبال الشامخات؛ لئلا تميد بكم الأرض وتضطرب عند دورانها وتحركها، وجعل لكم فيها أنهارا كنهري النيل والفرات والمسيبي وغيرها وجعلها سبلا وطرقا لربط أجزاء الأرض ولتنقل التجارة والمصالح، وجعلها علامات وحدودا، وفي الأرض علامات أخرى وحدود من أنهار وجبال وآكام<sup>(٥)</sup>.

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ

## الأنهار من جند الله

نعم الله سبحانه على عباده لا تعد ولا تحصى، ومن نعمه عليهم أن شق لهم البحار والأنهار بقدرته وحكمته؛ لكي يستطيعوا اصطياد كائناتها البحرية من الأسماك ليأكلوها طرية، وسخر الله سبحانه تلك البحار؛ لكي يتزينوا بحليتها، فيستخرجوا منها الحلي، مثل اللؤلؤ والمرجان والأصداف لاستعمالها في الزينة، وليس ذلك فحسب؛ وإنما فيها منافع أخرى يبتغيها عباده، كتنقلهم للتجارة والأمتعة والارتحال عن طريقها إلى الأقطار والبلدان الأخرى. إذن فالأنهار بهذه الطريقة تعد من جند الله سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥].

وقوله: ﴿وَأَنْهَرَ وَسْبُلًا﴾ أي: جعل فيها أنهارا تجري من مكان إلى مكان آخر رزقا للعباد، ينبغ في موضع وهو رزق لأهل موضع آخر، فيقطع البقاع والبراري والقفار، ويخترق الجبال والآكام، فيصل إلى البلد الذي سخر لأهله، وهي سائرة في الأرض يمنية ويسرة، وجنوبا وشمالا، وشرقا وغربا، ما بين صغار وكبار، وأودية تجري حيناً وتنقطع في وقت، وما بين نبع وجمع، وقوي

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/٤٨٣.

(٢) الوسيط، للواحدى ٣/٥٨.

(٣) البحر المحيط، لأبي حيان ٦/٥١٤.

(٤) التفسير الوسيط، الزحيلي ٢/١٢٤٨.

(٥) التفسير الواضح، لمحمد حجازي ٢/٣٠٢.

**يَكْتُمُ** أي: ومن نعم الله الكثيرة عليكم أنه جعل في الأرض جبلاً شامخات ثابتات تحفظ اتزانها في دورانها حتى لا تضطرب في حركتها. **﴿وَأَنْهَرَا وَسَبَّحَا لِلَّهِ فِي هَئِذٍ نَمْتَدُونَ﴾** أي: وجعل في الأرض أنهاراً عذبة تجري مياهها من منابعها إلى مصابها، لتهيئ الري للإنسان والحيوان والنبات<sup>(١)</sup>.  
كراهة **﴿أَنْ تَيَّدَ بِكُمُ﴾** وتضطرب<sup>(٢)</sup>، أي: نصب فيها جبلاً ثابتاً أن تמיד أي: لتلا تמיד، وقال الزجاج: كراهة **﴿أَنْ تَيَّدَ﴾**<sup>(٣)</sup>.  
ومن رحمته تعالى أن جعل فيها أنهاراً، يسوقها من أرض بعيدة إلى أرض مضطرة إليها لسقيهم وسقي مواشيهم وحروثهم، أنهاراً على وجه الأرض، وأنهاراً في بطنها يستخرجونها بحفرها، حتى يصلوا إليها فيستخرجونها بما سخر الله لهم من الدوالي والآلات ونحوها<sup>(٤)</sup>.  
ونعمة الأنهار عظيمة، فإن منها شرابهم وسقي حراثهم، وفيها تجري سفنهم لأسفارهم<sup>(٥)</sup>.  
وقال تعالى: **﴿أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾**

**وَجَعَلْ خِلَالَهَا أَنْهَرًا وَجَعَلْ لَهَا رَوْسِيًّا وَجَعَلْ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** **﴿١١﴾﴾** [النمل: ٦١].

قال ابن كثير: وجعل خلالها أنهاراً أي: جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة شقها في خلالها وصرفها فيها ما بين أنهار كبار وصغار وبين ذلك، وسيرها شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم حيث ذراهم في أرجاء الأرض وسير لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون إليه<sup>(٦)</sup>.

وجعل خلالها وفي أوساطها أنهاراً جارية يتفجع كل بها كل قاطن فيها في شؤون حياتهم<sup>(٧)</sup>.

وسبق أن ذكرنا الصلة بين النهر واليم، وقلنا: إن لفظ النهر واليم بينهما ترادف إلى حد كبير، وقد أطلق القرآن الكريم اليم على النهر في آيتين كريمتين، الأولى هي قوله تعالى: **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَرْسُومَ أَنْ أَرْضِيْعِيْهِ فَإِذَا خِيفَتْ عَلَيْهِ فَانْقَبِيْهِ فِي الْيَمِّ﴾** [القصص: ٧].

وذكر الطبري في تفسيره أن «اليم» هو نهر النيل<sup>(٨)</sup>.

- (١) التفسير الوسيط، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ٥/ ٥٩٩.
- (٢) الموسوعة القرآنية، لإبراهيم الأبياري ١٠/ ١٩٢.
- (٣) زاد المسير، ابن الجوزي ٢/ ٥٥٣.
- (٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٣٧.
- (٥) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٤/ ١٢٢.

- (٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/ ١٨٣.
  - (٧) التفسير الوسيط، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ٧/ ١٧٠٠.
  - (٨) جامع البيان، الطبري ١٦/ ٥٧.
- وقال البغوي: «واليم البحر وأراد هاهنا: النيل». معالم التنزيل ٣/ ٥٢٣.
- وكذا قال القرطبي ١١/ ١٩٤، وابن الجوزي في



﴿وَأَوْحَيْنَا﴾: وألهمنا. ﴿فَأَقْبَهُ فِي آيَةِ﴾ اليم: البحر. والمقصود به هنا: النيل، وكل نهر عظيم يطلق عليه بحر لاستحارته<sup>(١)</sup>.

أي: فإذا خفت عليه من القتل بسبب سماع أحد من الجيران صوته، فألقيه في بحر النيل، ولكن لا تخافي عليه حيثئذ من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض جواسيس فرعون الذين يبحثون عن الولدان، وغير ذلك من المخاوف، ولا تحزني لفراقه.

وهكذا طمأنها الحق تعالى عن مخاوفها  
وهواجسها الجديدة بعد إلقائه في البحر،  
بإلقاء الأمان والسكينة في قلبها؛ لأن عناية  
الله ورعايته تحوط بأبنائه ورسله منذ بدء  
الحمل وفي عهد الطفولة.

وذلك أنه كانت دارها على حافة النيل، فاتخذت تابوتاً، ومهدت فيه مهبطاً، فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه، فذهبت فوضعت في ذلك التابوت، وألقته في النيل، فذهب مع الماء واحتمله على سطحه، حتى مر به على دار فرعون، فالتقطه الجوّاري وذهبن به إلى امرأة فرعون آسية بنت مزاحم، فلما كشفت عنه، أوقع الله محبته في قلبها، فأثرت الإبقاء عليه، ولم تزل تكلم فرعون

زاد المسير ٣ / ١٥٨.

(١) التفسير الوسيط، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٧٣٧/٧.

حتی ترکہ لها.

﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَىكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾  
[القصص: ٧]

أي: إنا سندركه عليك لتكوني أنت  
المرضعة له، وسنجعله نبياً مرسلًا إلى أهل  
مصر والشام.

وقد جمعت هذه الآية الواحدة بين أمرين  
ونهيين، وخبرين وبشارتين والأمران: هما  
أرضعيه وألقيه، والنهيان: هما ولا تخافي  
ولا تحزني، والخبران: هما إنا رادوه إليك،  
وجاعلوه، والبشارتان: في ضمن الخبرين،  
وهما الرد والجعل من المرسلين<sup>(٢)</sup>.

وهكذا وضح جلياً أن اليم جند من جنود  
الله في حفظ موسى عليه السلام من الغرق  
بأمر الله وفي غرق عدو الله وعدوه، وهو  
هو نهر النيل، قال صاحب المنار:

وأما الغرق في النيل فيفهم من قول القرآن مثلاً في سورة طه: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾ (٣٨) ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ (٣٩).

ثم قوله في آخر هذه القصة: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ﴾  
﴿وَرَعَوْا يُحْذِرُوهُ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾  
[طه: ٧٨].

فالمتبادر من ذلك أن فرعون غرق في

(٢) التفسير المنير، الزحيلي ٦٣/٢٠.

ومما يدل على أن النهر من جنود الله سبحانه قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨].

أي: تبعهم فرعون ومعه جنوده، فغشيهم من البحر ما غشيهم مما هو معروف ومشهور، فغرقوا جميعاً. وتكرار غشيهم للتعظيم والتهويل<sup>(٤)</sup>. أي: فعلاهم وغمرهم ما غمرهم، من الأمر الهائل المروع الذي يعجز البيان عن وصفه، حيث انطبق عليهم الماء فأغرقهم فهلكوا جميعاً، ونجى الله فرعون وأبقاه بيدنه خالياً من الروح في اليوم الذي نجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من الغرق<sup>(٥)</sup>.

من خلال الآيات السابقة يتضح جلياً أن اليم جند من جنود الله سبحانه وتعالى سواء أكان المقصود به النهر أو البحر، لكن الثابت من المعاجم اللغوية أن اليم مرادف للنهر. وليس بلازم أن يكون الجندي لهلاك العدو دائماً، وإنما كثيراً ما يكون الجندي لنفع المسلمين، فالأنهار كانت جند خير ونفع لبعض عباده، وجند وبال وهلاك على بعضهم، وهذا ما ستتناوله تفصيلاً في مطالب المبحث التالي الذي يتحدث عن منافع الأنهار من خلال آيات القرآن الكريم بصورة توضيحية.

نفس اليم الذي ألقى فيه موسى وهو النيل، وإن كان أكثر المفسرين يرى أنه أغرق في البحر الأحمر.

قال الطاهر ابن عاشور: وقد أغرق فرعون وجنده في البحر الأحمر حين لحق بني إسرائيل يريد صدهم عن الخروج من أرض مصر<sup>(١)</sup>.

ومثل ذلك أيضاً ما جاء في سورة القصص، وهو قوله: ﴿فَإِذَا خِفتَ عَلَيْهِ فَاتَّقِ اللَّهَ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: ٧].

ثم قوله فيها بعد مما يدل على أن اليم جند من جنود الله سبحانه: ﴿فَأَخَذَتْهُ وَجُنُودُهُ فَبَذَلَتْهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَتْ عَذَابَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠].

أي: أغرقناهم في البحر في صبيحة واحدة<sup>(٢)</sup>، كناية عن إدخالهم في البحر حتى غرقوا، شبهوا بحصيات. قذفها الرامي من يده<sup>(٣)</sup>.

ومن الآيات التي أطلق القرآن الكريم فيها اليم على النهر، ووضح فيها جلياً أنه من جنود الله سبحانه قوله تعالى: ﴿فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ يَأْتُهُمْ كَذْبُؤُا بِمَا كُنَّا نَكَاثُا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

(٤) التفسير المنير، الزحيلي ١٦/٢٥٥.  
(٥) التفسير الوسيط، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ٦/١٠٥٠.

(١) التحرير والتنوير ٩/٧٥.  
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/٢١٤.  
(٣) البحر المحيط، لأبي حيان ٨/٣٠٧.

## من منافع الأنهار

المنافع: ما فيه الخير والصالح والفائدة، وكل ما ينتفع به، جنى من عمله منفعة كبرى<sup>(١)</sup>.

وعلى ذلك تتعدد منافع الأنهار على الإنسان، وتتمثل هذه المنافع في شرب مائها، الذي جعل الله فيه حياة الإنسان، ومنها تسقى الزروع والثمار، ويعبرها الإنسان ركوباً للجهد في سبيل الله وطلباً للرزق، ويتمتع الإنسان بجريان مائها، ويصطاد من أسماكها وكائناتها لحماً طرياً يتخذة طعاماً شهياً، وتفصيل الحديث عن تلك المنافع في المطالب الآتية:

### أولاً: شرب مائها:

الماء يعد أعظم نعمة من الله تعالى، وماء النهر من أعظم منافعه شرب مائه، والآيات في ذلك كثيرة، منها قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

أي: أصل كل الأحياء<sup>(٢)</sup>.

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ

بَنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْكُوا اللَّهَ كَمِ بَيْنَ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ يَادْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾، أي: فلا يصحني اليوم في هذا الوجه، ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾، أي فلا بأس عليه.

قال ابن عباس: من اغترف منه بيده روي، ومن شرب منه لم يرو<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ لتسقي حروثكم وأشجاركم وتشربوا منها<sup>(٤)</sup>.

ونعمة الأنهار عظيمة، فإن منها شربهم وسقي حراثهم، وفيها تجري سفنهم لأسفارهم<sup>(٥)</sup>.

﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الحجر: ٢٢] أي:

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٥٠٩.

(٤) تفسير الكريم الرحمن، السعدي، ١/ ٤٢٦.

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٤/ ١٢٢.

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار وآخرون ٣/ ٢٢٥٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ٢٩٨.



وفي إطار الانتفاع بماء البحر يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ لَبَنًا وَمِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [فاطر: ١٢].

ذكر سبحانه نوعاً آخر من بديع صنعه، وعجيب قدرته فقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ فالمراد بالبحرين: العذب والمالح، فالعذب الفرات الحلو، والأجاج المر، والمراد بـ ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾ الذي يسهل انحداره في الحلق لعذوبته (٣).

### ثانياً: سقيا الزروع والثمار:

كما أن من منافع الأنهار شرب مائها، وانتفاع الإنسان غاية النفع في ذلك، فإن ما تحتاجه الزروع والثمار من ماء فيه منفعة كبيرة قد لا تقل أهمية عن نفع الإنسان بماء النهر في شرابه.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَاهُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [السجدة: ٢٧].

يبين تعالى لطفه بخلقه وإحسانه إليهم في إرساله الماء، إما من السماء أو من السبح،

فأنزلنا من السحاب مطراً، ﴿فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ﴾ أي: يمكنكم أن تشربوا منه، وأسقيناهم زرعكم ومواشيكم، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وقال سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ؕ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٨﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الواقعة: ٦٨-٧٠].

وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [النحل: ١٠].

﴿وَمَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَّا بِخُزْنٍ﴾ أي: لستم له بحافظين، بل نحن ننزله ونحفظه عليكم ونجعله ينابيع في الأرض، ولو شاء تعالى لأغاره وذهب به، ولكن من رحمته أبقاه لكم في طول السنة، لشرب الناس والزروع والثمار والحيوان، فالتخزين يكون في السحاب وفي جوف الأرض (١).

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي: وخلقنا من الماء كل حيوان سواء النازل من السماء والنابع من الأرض. ﴿كُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي: صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء، لا يحيا دونه، سواء النبات وغيره، فالماء سبب لحياته (٢).

(١) التفسير المنير، الزحيلي ٢٥ / ١٤

(٢) المصدر السابق ٤٣ / ١٧

(٣) فتح القدير، الشوكاني ٤ / ٣٩٣ .

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ لتسقي حروثكم وأشجاركم وتشربوا منها<sup>(٢)</sup>. وجعله سبيلًا للإنبات، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الأنعام: ٩٩]

أي: أن الله هو الذي أنزل بقدرته وتصريفه وحكمته من السحاب ماء بقدر، مباركًا، ورزقًا للعباد، وإحياء وإغاثة للخلائق، رحمة من الله بخلقه، فأخرجنا بسبب هذا المطر أصناف النبات المختلف في شكله وخواصه وآثاره، كما قال تعالى: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤].

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. وفي آية: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ وَالنَّوْفِ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥].

ثم ذكر تعالى آية من آيات التكوين في النبات وهي إنزال الماء من السماء وأخرجنا بالمطر زرعًا وشجرًا أخضر، ثم بعد ذلك نخلق فيه الحب والثمر، لهذا قال تعالى: ﴿يُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾. أي: يركب بعضه بعضًا كالسنابل ونحوها<sup>(٣)</sup>.

فالله سبحانه هو الذي خلق السموات والأرض وما فيهن، وهو الذي أنزل من

وهو ما تحمله الأنهار وينحدر من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته، ولهذا قال تعالى: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ وهي التي لا نبات فيها، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨].

أي: ييسر لا تنبت شيئًا، وليس المراد من قوله ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ أرض مصر فقط، بل هي بعض المقصود وإن مثل بها كثير من المفسرين فليست هي المقصودة وحدها، ولكنها مرادة قطعًا من هذه الآية، فإنها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء ما لو نزل عليها مطرًا لتهدمت أبنيتها، فيسوق الله تعالى إليها النيل بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة، وفيه طين أحمر، فيغشى أرض مصر وهي أرض سبخة مرملة محتاجة إلى ذلك الماء، وذلك الطين أيضًا، لينبت الزرع فيه، فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطر في غير بلادهم، وطين جديد من غير أرضهم، فسبحان الحكيم الكريم المنان المحمود ابتداء<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٤٢٦/١.

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، ٣٠٨/٧.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٣٢/٦.



السماء هذا الماء الذي تتدفق به الأنهار، وتتفجر منه العيون، وتحيا عليه الزروع، وما يخرج منها من ثمر وحب<sup>(١)</sup>.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ أي: فجر لكم ينابيع الماء الجاري في الأنهار، ويسر توزيعها وتفرعها لسقي أكبر مساحة من الأرض والشجر والزرع<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿أَيُّودُ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

وهذا المثل مضروب لمن عمل عملاً لوجه الله تعالى من صدقة أو غيرها، ثم عمل أعمالاً تفسده، فمثله كمثل صاحب هذا البستان الذي فيه من كل الثمرات، وخص منها النخل والعنب لفضلهما وكثرة منافعهما، لكونهما غذاء وقوتاً وفاكهة وحلوى، وتلك الجنة فيها الأنهار الجارية التي تسقيها من غير مؤنة، وكان صاحبها قد اغتبط بها وسرته<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿كَلَّمَ الْجَنَيْنِ ءَانَتْ أَكْطَاهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهراً﴾

(١) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب ١٨٥/٧.

(٢) التفسير الوسيط، الزحيلي ٢/ ١٢٠٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ١١٤/١.

[الكهف: ٣٣].

جعل الله لأحدهما جنتين، أي: بستانين من أعناب، محاطين بنخيل، وفي وسطهما الزروع والأشجار المثمرة.

﴿كَلَّمَ الْجَنَيْنِ ءَانَتْ أَكْطَاهَا﴾ أي: أخرجت ثمارها، ولم تنقص منه شيئاً في كل عام. ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهراً﴾ أي: وشققنا وسط الجنتين نهراً، تفرع عنه عدة جداول، لسقي جميع الجوانب<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرُ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيراً﴾ [الإسراء: ٩١].

تفجر أنهاراً تسقي جنة واحدة تكون تلك الجنة وأنهارها لك<sup>(٥)</sup>.

ثالثاً: ركوبه للتنقل والجهاد:

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلاً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

يمتن الله على عباده بتذليل البحر لهم وتيسيرهم للركوب فيه، وتسخيره لحمل السفن التي تمخره، أي: تشقه، وقيل: تمخر الرياح، وكلاهما صحيح، وقيل: تمخره

(٤) التفسير الوسيط، الزحيلي ٢/ ١٤٢٤.

(٥) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٠٨/١٥.



﴿وَرَىٰ الْفَلَكَ فِيهِ﴾ أي: في كل واحد من البحرين.

وقال النحاس: الضمير يعود إلى الماء المالح خاصة، ولولا ذلك لقال: فيهما مواخر يقال: مخرت السفينة تمخر: إذا شقت الماء. فالمعنى: وترى السفن في البحرين شواق للماء بعضها مقبلة، وبعضها مدبرة يريح واحدة<sup>(٥)</sup>.

﴿وَرَىٰ الْفَلَكَ فِيهِ مَوَآخِرَ﴾ أي: تمخره وتشقه بحيزومها: وهو مقدمها المسنم الذي يشبه جؤجؤ الطير وهو صدره، وقال مجاهد: تمخر الريح السفن ولا يمخر الريح من السفن إلا العظام.

وقوله جل وعلا: ﴿لَتَبْنَعُنَّ الْفُلَ مِنْ قَطَرٍ﴾ أي: بأسفاركم بالتجارة من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم.

وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: تشكرون ربكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم، وهو البحر، تتصرفون فيه كيف شئتم، تذهبون أين أردتم، ولا يمتنع عليكم شيء منه، بل بقدرته قد سخر لكم ما في السموات وما في الأرض، الجميع من فضله ورحمته<sup>(٦)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرٍ وَسَخَّرَ لَكُمُ

٢١/١١

(٥) فتح القدير، الشوكاني ٤/٣٩٣.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/٤٧٨.

بجؤجئها وهو صدرها المسنم الذي أرشد العباد إلى صنعتها وهداهم إلى ذلك، إرثاً عن أبيهم نوح عليه السلام، فإنه أول من ركب السفن، وله كان تعليم صنعتها، ثم أخذها الناس عنه قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل، يسيرون من قطر إلى قطر، ومن بلد إلى بلد، ومن إقليم إلى إقليم، لجلب ما هناك إلى ما هنا، وما هنا إلى ما هناك<sup>(١)</sup>.

﴿وَرَىٰ الْفَلَكَ مَوَآخِرَ فِيهِ﴾ أي: ترى السفن شواق للماء تدفعه بصدرها. ومخر السفينة: شقها الماء بصدرها<sup>(٢)</sup>.

ومن نعم الله تعالى أيضاً تذليله البحر للناس، وتيسيره للركوب فيه، وعبور الفلك السفن فيه جيئة وإياباً، وطلب فضل الله ورزقه بالتجارة فيه، مما يوجب شكر نعمه وإحسانه على الناس بما يسره لهم في البحار<sup>(٣)</sup>.

يقول تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَرَىٰ الْفَلَكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لَتَبْنَعُنَّ الْفُلَ مِنْ قَطَرٍ﴾ [فاطر: ١٢].

﴿فِيهِ﴾ أي: في كل. ﴿مَوَآخِرَ﴾ تشق الماء بجريها<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/٤٨٣.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ٣/١٨٤.

(٣) التفسير الوسيط، الزحيلي ٢/١٢٤٨.

(٤) الموسوعة القرآنية، لإبراهيم الأبياري

الْأَنْهَارُ ﴿إِبْرَاهِيمَ: ٣٢﴾.

وهو سبحانه الذي سخر الفلك، وأجراها مع الماء، وسخر الأنهار لتحمل الفلك على ظهرها (١).

﴿لَتَنْفَعُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: ولتطلبوا بها منافع أخرى من فضل الله غير ما تقدم، كالتجارة ونقل الحاصلات والبضائع من مرفأ إلى مرفأ ومن قطر إلى قطر، وغير ذلك كالارتحال بها لطلب العلم حيث يوجد العلم والعلماء (٢).

هو وحده لا شريك له ﴿الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ وهياه لمنافعكم المتنوعة. ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وهو السمك والحوث الذي يصطادونه منه، ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ فتزيدكم جمالاً وحسناً إلى حسنكم، ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾ أي: السفن والمراكب ﴿مَوَازِرَ فِيهِ﴾ أي: تمخر في البحر العجاج الهائل بمقدمها حتى تسلك فيه من قطر إلى آخر، تحمل المسافرين وأرزاقهم وأمتعتهم وتجاراتهم التي يطلبون بها الأرزاق وفضل الله عليهم (٣).

ومن تسخير البحر: خلقه على هيئة

يمكن معها السبح والسير بالفلك، وتمكين السابحين والماخرين من صيد الحيتان المخلوقة فيه والمسخرة لحيل الصائدين. وزيد في الامتنان أن لحم صيده طري (٤).

رابعاً: الانتفاع بجريان مائه:

من المنافع التي تحدثت عنها بعض آيات الأنهار: السرور بمنظر الماء الجاري للنهر، هذا السرور الذي يبعث البهجة في النفس، والراحة النفسية، والتفكر في ملكوت الله وعظمته وامتنانه على عباده.

قال تعالى: ﴿وَيُبْرِئُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَمْ يَجْنُفْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥].

قيل: المعنى في ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾: أي: بأمر سكانها واختيارهم، فعبّر بتحتها عن قهرهم لها وجريانها على حكمهم، كما قيل في قوله تعالى حكاية عن فرعون: وهذه الأنهار تجري من تحتي، أي: بأمرى وقهري... وقد روي عن مسروق: أن أنهار الجنة تجري في غير أخاديد، وأنها تجري على سطح أرض الجنة منبسطة.

وإذا صح هذا النقل، فهو أبلغ في النزهة، وأحلى في المنظر، وأبهج للنفس. فإن الماء الجاري ينسبط على وجه الأرض جوهره فيحسن اندفاعه وتكسره، وأحسن البساتين

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١١٩/١٤.

(١) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب ١٨٥/٧.

(٢) التفسير الوسيط، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ٥٩٩/٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٣٧.

بين الجنتين-نهرًا عذبًا، فكان هذا النهر متعة للناظرين، وسببًا أدى إلى وصول الماء الدائم والمستمر إلى هاتين الجنتين، فكان هذا أيضًا من الأسباب التي جعلت هاتين الجنتين تؤتي أكلها كاملة<sup>(٤)</sup>.

وقال الله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾<sup>(٥)</sup>  
[الغاشية: ١٢].

أي: في تلك الجنة عين عظيمة لا ينقطع ماؤها عن الجريان، أو عيون كثيرة... ووصف ماء العيون بالجريان للإشارة إلى أنه بارد صافٍ؛ لأن ماء العيون إذا كان جاريًا يكون في العادة باردًا صافيًا مع ما في منظر الماء الجاري من مسرة وارتياح<sup>(٥)</sup>.

ما كانت أشجاره ملتفة وظله ضافيًا وماؤه صافيًا مناسبًا على وجه أرضه، لا سيما الجنة، حصباؤها الدر والياقوت واللؤلؤ، فتتكرر تلك المياه على ذلك الحصى، ويجلو صفاء الماء بهجة تلك الجواهر، وتسمع لذلك الماء المتكرر على تلك اليواقيت واللالع له خيرًا<sup>(١)</sup>.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: من تحت أشجارها، كما تراها جارية تحت الأشجار النابتة على شواطئها<sup>(٢)</sup>.  
وقال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾<sup>(٣)</sup>  
[الرحمن: ٥٠].

وأورد أبو حيان قول ابن عباس: هما عينان مثل الدنيا أضعافًا مضاعفة، وقال: تجريان بالزيادة والكرامة على أهل الجنة. وقال الحسن: تجريان بالماء الزلال، إحداهما التسنيم، والأخرى السلسيل. وقال ابن عطية: إحداهما من ماء، والأخرى من خمير. وقيل: تجريان في الأعالي والأسافل من جبل من مسك<sup>(٣)</sup>. ومما يزيد بها بهجة ورواء أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف: ٣٣].

فجر الله سبحانه خلال الجنتين-أي:

(١) البحر المحيط، لأبي حيان ١/١٨٢-١٨٣.

(٢) أنوار التنزيل، البيضاوي ١/٦٠.

(٣) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان ١٠/٦٨، وأنوار التنزيل، البيضاوي ٥/١٧٤.

(٤) انظر: مقرر التفسير الموضوعي ٢، ص ٢٤٢.

(٥) التفسير الوسيط، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٠/١٨٨٩.



أكل صيده وطعامه واستخراج حليته

لما كانت هذه الشريعة خاتمة الشرائع السماوية، كان لابد أن تكون مميزة بخصائص ومميزات تجعلها قابلة للثبات والاستمرار ومواكبة لحياة الإنسان مهما كان، وفي أي عصر كان، وفي أي مكان كان. ومن أهم المميزات التي تميزت بها شريعتنا الغراء: رفع الحرج عن المكلفين والتيسير عليهم، من أجل هذا كانت عناية الشريعة، تلك العناية البالغة ببيان الحلال والحرام، من طعام الإنسان وشرابه، ليقيم وجهه على ما أحل الله له من طيبات. وليعرض عما حرم عليه من خبائث.

قال تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعًا لَكُمْ وَلِلنَّاسِ يَوْمَئِذٍ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٦].

ففي هذه الآية يبين الله سبحانه وتعالى للمؤمنين حكم الصيد، وما لهم منه، وما عليهم فيه.

فعن أبي هريرة: (أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفئتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: هو الطهور ماؤه الحل ميتته<sup>(١)</sup>. والبحر يشمل الأنهار والأودية؛ لأن جميعها يسمى بحرًا في لسان العرب. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِ الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فَرَاتٌ﴾ الآية. وليس العذب إلا الأنهار كدجلة والفرات. وصيد البحر: كل دواب الماء التي تصاد فيه، فيكون إخراجها منه سبب موتها قريبًا أو بعيدًا. فأما ما يعيش في البر وفي الماء فليس من صيد البحر كالضفدع والسلحفاة، ولا خلاف في هذا<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا يتضح أن الله تعالى أباح لعباده أكل ما في الأرض من الحلال الطيب، وكانت وجوه الحلال كثيرة، وبين لهم ما حرم عليهم لكونه أقل، حتى إن الصحابة كانوا عندما يتشككون في أمر يذهبون إلى رسول الله ويسألونه.

فعن جابر بن عبد الله قال: «غزونا جيش الخبط<sup>(٣)</sup> وأميرنا أبو عبيدة، فجعنا جوعًا شديدًا، فألقى البحر حوتًا ميتًا لم نر مثله، يقال له: العنبر، فأكلنا منه نصف شهر، فأخذ أبو عبيدة عظمًا من عظامه فمر الراكب

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ١٤ / ٣٤٩ رقم ٨٧٣٥.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٧ / ٥٢.

(٣) الخبط: ورق الشجر يضرب بالعصا فيسقط، وسميت هذه الغزوة بذلك لشدةها على الصحابة حتى أنهم أكلوا الخبط انظر معالم السنن لشرح أبي داود، ٤ / ٢٥٢.

التي تؤكل<sup>(٣)</sup>.

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل: ١٤].

هو وحده لا شريك له ﴿الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ وهياه لمنافعكم المتنوعة. ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وهو السمك والحيوت الذي يصطادونه منه، ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ فتزديكم جمالا وحسنا إلى حسنكم<sup>(٤)</sup>.

ومن تسخير البحر: خلقه على هيئة يمكن معها السبح والسير بالفلك، وتمكين السابحين والماخرين من صيد الحيتان المخلوقة فيه والمسخرة لحيل الصائدين. وزيد في الامتنان أن لحم صيده طري<sup>(٥)</sup>.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا يَمِلُّ أَجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [فاطر: ١٢].

إن من آيات الله عز وجل أن سخر لنا البحر لتأكل منه لحما طريا، ومن نعم الله جل في علاه أن ذلل البحر لنا حتى استطعنا

تحتة، قال: فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: (كلوا رزقا أخرجه الله عز وجل لكم، أطعمونا إن كان معكم، فأتاه بعضهم بشيء فأكله)<sup>(١)</sup>.

قال أبو بكر الصديق: صيد البحر ما تصطاده أيدينا وطعامه ما لائه البحر<sup>(٢)</sup>.

فلا يخفى ما لإطابة المطعم بتحري ما أحل الله وترك ما حرم الله من أثر بالغ على قلب الإنسان وسلوكه، وأن الأكل من الطيبات له آثار حميدة على النفوس والأبدان؛ لأن الطيبات تؤثر الخير والنفع للأبدان والعقول والأخلاق، والخبائث تؤثر شرا وضرا في الأبدان والعقول والأخلاق، وكل ما ينفع فهو طيب وكل ما يضر فهو خبيث.

وإن هذه الطيبات التي أحلها الله لهي من ضمن الأشياء التي سخرها سبحانه وتعالى لنا في قوله عز وجل: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا يَمِلُّ أَجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [فاطر: ١٢].

﴿وَمِنْ كُلِّ﴾ منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وهو ما يصاد منهما من حيواناتهما

(١) الحديث أخرجه البخاري، ١٦٧/٥، رقم ٤٣٦٢.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، ١٩٧/٣.

(٣) فتح القدير، الشوكاني ٣٩٣/٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ٤٣٧/١.

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور ١١٩/١٤.

أن نصطاد منه الأسماك وغيرها مما يؤكل من هذه اللحوم الطرية، كذلك ذلّله لنا لغوص فيه فنجمع اللؤلؤ والمرجان وما يتخذ زينة. سمي السمك لحماً؛ لأنه حيوان من جملة الحيوانات، وكونه بحرياً لا ينفي كونه لحماً، ووصف بالطري؛ لأن لحم السمك أطرى من لحم حيوانات البر.

يمتن الله على عباده بتذليل البحر لهم وتيسيرهم للركوب فيه، وجعله السمك والحيتان فيه، وإحلاله لعباده لحماً حيها وميتها، وما يخلقه فيه من اللائئ والجواهر النفيسة، وتسهيله للعباد استخراجهم من قراره حلية يلبسونها<sup>(١)</sup>.

امتن الله سبحانه بتسخير البحر بإمكان الركوب عليه واستخراج ما فيه من صيد وجواهر؛ لكونه من جملة النعم التي أنعم الله بها على عباده مع ما فيه من الدلالة على وحدانية الرب سبحانه وكمال قدرته،... ثم ذكر العلة في تسخير البحر فقال: ﴿لِنَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ المراد به: السمك، ووصفه بالطراوة للإشعار بلطافته، والإرشاد إلى المسارعة بأكله لكونه مما يفسد بسرعة<sup>(٢)</sup>.

﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ أي: لؤلؤاً ومرجاناً كما في قوله سبحانه: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا

اللؤلؤ والمرجان<sup>(٣)</sup> [الرحمن: ٢٢].<sup>(٣)</sup>

وقد ذكر بعض المفسرين أن «وصفه بالطراوة؛ لأن الفساد يسارع إليه»، ولكن هذا القول مما لا يناسب مقام الامتنان بنعم الله؛ لأن المعنى يكون حيثئذ: وسخر لكم البحر لتأكلوا لحم السمك الذي يسارع إليه الفساد فتأكلونه طرياً لئلا يفسد، وهذا لا يناسب مقام الامتنان، وإنما الذي يناسب مقام الامتنان هو وصف لحم السمك بالطراوة الذي هو عنوان للذة لحوم السمك، جاء التعبير ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا﴾ وليس «تخرجوا»؛ لأن الاستخراج يدل على الطلب، فالذي يغوص في البحر يطلب اللؤلؤ والمرجان، فهو يستخرجهما، أي: يطلبهما<sup>(٤)</sup>.

ووجه الأكل إلى لحمه مباشرة وفيه إشارة إلى أنه لا يزكى، بل يؤكل ميتاً، ولذا روى في الأثر (أحل لنا ميتتان حلالان: السمك والجراد)<sup>(٥)</sup>.

وعبر سبحانه وتعالى أيضاً بقوله: ﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾، ولم يقل سمكاً؛ لأن في البحر ما ليس بسمك، حيوانات تشبه

(٣) المصدر السابق ٣/ ١٨٤.

(٤) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، لسامي القدومي ١/ ٢٩.

(٥) أخرجه ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب الكبد والطحال ٢/ ١١٠٢، رقم ٣٣١٤، وأحمد ٢/ ٩٧، رقم ٥٧٢٣.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ٤٨٣.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ٣/ ١٨٣.



يتشبهوا بالنساء<sup>(١)</sup>.

فالأنهار تقدم للإنسان أيضًا فوائد كثيرة، وخاصة مع سكان المناطق التي يعيشون على ضفافها، فهي تفيض لهم بالخير، وتخرج من جوفها الأسماك والأعشاب والخيرات، وقد أثبت العلم الغذائي ما في ثمار البحر عمومًا، والسمك خصوصًا، من فوائد جمّة. وينصح الأطباء بتناول وجبة سمك ولو مرة واحدة أو مرتين في الأسبوع؛

لما فيها من غذاء ضروري للأجسام.

ومن نعم الله تعالى أيضًا تذليله البحر للناس، وتيسيره للركوب فيه، وإباحته الأسماك المختلفة المستخرجة منه، واستخراج الحلي واللآلئ منه لللبس والزينة، والاستفادة من المرجان، وعبور الفلك (السفن) فيه جيئة وإيابًا، وطلب فضل الله ورزقه بالتجارة فيه، مما يوجب شكر نعمه وإحسانه على الناس بما يسره لهم في البحار<sup>(٢)</sup>.

حيوانات البحر، والظاهر أنها حلال وفيها ضخم يكفي الألو، كالحيوان البحري المسمى الترس، وكالحوت وفرس البحر، وغير ذلك، وكلها لحم طري، وقد وصف القرآن اللحم الذي يؤخذ من البحر بأنه لحم طري؛ لأنه فعلاً طري، وعظمه قليل، ولا يتخلل أجزاء جسمه، بل هو في موضع معين والذي يتخلل جسمه شيء صغير يسميه العامة «سفا».

ويقول الزمخشري في وصفه بأنه طري للإشارة إلى أنه سريع العفن، وأنه ضار إذا تعفن، وفي ذلك نظر، فإنه إذا وضع الملح عليه لم يكن ضارًا في تعفنه، وهو المتفسخ منه، وقد أنكره أطباء عصرنا وزماننا ثم أباحوه، بل استحسّوه، وقرروا أن فيه سرًا طيبًا، وإن لم يعرفوه، وحرم التفسخ الحنفي؛ لأنه ضار، وقد علمت ما فيه.

و (اللام) في قوله تعالى: ﴿لَتَأْكُلُوا﴾ هي لام الغاية، أي: ذلله وسخره لتأكلوا منه لحما بعد صيده، وإنضاجه، وفيه مواد غذائية كبيرة، مملوءة بالقشور، وغيرها.

وإذا كان ذلك الطعام فيه منفعة مرئية طيبة، فالبحر وعاء للجواهر المختلفة، ولذا قال: ﴿وَلَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾

وهي ما يسمونه بالأحجار الكريمة من لآلئ، وزمرد، وغيرهما مما يتحلّى به النساء وبعض المرفهين من الرجال، وإن لم

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، لمحمد أبي زهرة ٤١٤٤/٨.

(٢) التفسير الوسيط، الزحيلي ١٢٤٨/٢. وانظر في هذا المعنى كلام البيضاوي في: أنوار التنزيل ٢٢٢/٣.

### أنهار الجنة

جمع الله عز وجل الأنهار التي أعدها لعباده المتقين في الجنة في آية واحدة من آيات القرآن الكريم، ومن حكمته سبحانه أن جعل هذه الآية في سورة محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَمَقِفَرَةٌ مِنْ زَبَبٍ كَمَا هُوَ خَالِكٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاهُمْ﴾ [١٥] [محمد:]

[١٥].

لما بين سبحانه الفرق بين الفريقين في الاهتداء والضلال بين الفرق في مرجعها ومآلها، فقال: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ (١).

و﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾: صفة الجنة العجيبة الشأن، وقوله: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ﴾، في حكم الصلة، كال تكرير لها. ألا ترى إلى سر قوله: التي فيها أنهار؟ ويجوز أن تكون خبر مبتدأ محذوف هي: فيها أنهار (٢).

﴿أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ ذكر الله تعالى في هذه الآية نوعين من الجزاء لكل من الفريقين: جزاء مادي وجزاء معنوي،

أما نوعا جزاء المؤمنين فهما المشروب والمطعم، والمغفرة والرضوان، وأما نوعا جزاء الكافرين فهما المشروب الحار، والخلود في النار... ومعنى الآية: إن نعت الجنة أو وصفها العجيب الشأن، التي وعد الله بها عباده المتقين، الذين اتقوا عقابه بامثال أوامره واجتناب نواهيه؛ هو ما تسمعون. ثم ابتداء بمشروب أهل الجنة فيها أنهار جارية، من ماء غير متغير الطعم والريح واللون لطول المكث، بل إنه ماء عذب فرات، متدفق نقي غير مصحوب برواسب أو طحالب، من شربه لا يظمأ أبداً، وقد ابتداء بالماء؛ لأنه أعم نفعاً للناس من بقية المشروبات (٣).

ونقل ابن كثير قول قتادة والضحاك وعطاء الخراساني: غير متتن، والعرب تقول: أسن الماء إذ تغير ريحه (٤).

﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ﴾ وفيها أنهار من حليب لم يحمض كما تتغير ألبان الدنيا، وهو في غاية البياض والحلاوة والدسومة، وثنى باللبن، لأنه ضروري للناس كلهم، وهو غذاء كامل ومطعم شهي (٥).

﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ والخمر: عصير العنب الذي يترك حتى يصيبه التخمر

(٣) التفسير المنير، الزحيلي ١٠٢/٢٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٨٩/٧.

(٥) المصدر السابق.

وانظر: التفسير المنير، الزحيلي ١٠٣/٢٦.

(١) فتح القدير، الشوكاني ٤١/٥.

(٢) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان ٤٦٦/٩.

والتفسير المنير، الزحيلي ١٠٠/٢٦.

أي: ليس فيها ضرر ولا مادة مسكرة  
تزيل العقل، ولا يصيب شاربها صداع، ولا  
يذهب عقله، وإنما هي لذیذة للشاربين:  
﴿بَيَضَةُ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ [الصافات: ٤٦].

وذكرت في المرتبة الثالثة؛ لأنها ليست  
ضرورية، وإنما فيها متعة ذوقية، فهي  
لذیذة الطعم، طيبة الشرب، لا يكرهها  
الشاربون، وتناولها للذة بعد حصول الري  
والمطعم (٤).

﴿وَأَنْتَرَمِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ العسل المصفى:  
الذي خلص مما يخالط العسل من بقايا  
الشمع وبقايا أعضاء النحل التي قد تموت  
فيه (٥).

أي: من عسل ليس فيه عكر ولا كدر  
كعسل أهل الدنيا (٦).

وفيها أنهار من عسل في غاية الصفاء،  
وحسن اللون والطعم والريح، لم يخالطه  
شيء من الشمع والقذى والعكر والكدر.

وذكر في المرتبة الرابعة؛ لأنه ليس  
ضروريًا وإنما جمع بين مختلف الطعوم  
والإحساسات الذوقية المرغوبة، ولا شك  
أن الحلو أطيب الطعوم، والعسل أرقاها،  
وفيه فوائد كثيرة للجسد: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ  
لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].

ففيه الشفاء في الدنيا بعد المشروب

وهو الحموضة مثل خمير العجين. ولذیة  
وصفٌ وليس باسم، وهو تأنيث اللذ، أي:  
اللذیذ، واللذاعة: أنفعالٌ نفسانيٌّ فيه مسرة،  
وهي ضد الألم وأكثر حصوله من الطعوم  
والأشربة والملامس البدنية، فوصف خمير  
هنا بأنها لذیة، معناه: يجد شاربها لذاعةً في  
طعمها، أي: بخلاف خمير الدنيا فإنها حريقة  
الطعم فلولاً ترقب ما تفعله في الشارب من  
نشوة وطربٍ لما شربها لحموضة طعمها (١).

أي: ليست كريهة الطعم والرائحة  
كخمير، الدنيا، حسنة المنظر والطعم  
والرائحة والفعل لا فيها غولٌ ولا هم عنها  
يتزفون ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُتَزَفُونَ﴾  
[الصافات: ٤٧] (٢).

﴿وَأَنْتَرَمِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ أي: تلذذ  
خالص ليس معه ذهاب عقل ولا سكر ولا  
صداع، بخلاف خمير الدنيا، فإنها كريهة عند  
الشرب، و﴿لَذَّةٍ﴾: تأنيث لذ، أي: لذیذ (٣).  
وفيها أنهار من خمير لذیذة الطعم، طيبة  
الشرب، ليست كريهة الطعم والرائحة أو  
مرة كخمير الدنيا، بل حسنة المنظر والطعم  
والرائحة: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُتَزَفُونَ﴾  
[الصافات: ٤٧].

﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُتَزَفُونَ﴾ [الواقعة:

١٩].

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٦/٩٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/٢٨٩.

(٣) تفسير الكشاف، الزمخشري ٤/٣٢٢.

(٤) التفسير المنير، الزحيلي ٢٦/١٠٣.

(٥) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٦/٩٧.

(٦) زاد المسير، ابن الجوزي ٤/١١٨.



والمطعموم، وفيه الخير في الآخرة.

وفي ذكر هذه الأجناس الأربعة، إطناب بتكرار لفظ أنهار، وتشويق لنعيم الجنة، وجمع بين الضرورة (الماء) والحاجة (اللبن) والمتعة (الخمر غير المسكرة) والعلاج النافع (العسل)<sup>(١)</sup>.

وقد يكون ذكر هذه الأربعة جمعاً بين ما تشتهي كل الأذواق من الناس، ليكتمل لأهل الجنة كل شراب يشتهي.

ويورد ابن كثير حديث الإمام أحمد بسنده عن حكيم بن معاوية عن أبيه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (في الجنة بحر اللبن وبحر الماء وبحر العسل وبحر الخمر، ثم تشق الأنهار منها بعد)<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيح أشار النبي صلى الله عليه وسلم مرغبا أمته في العمل على طلب الجنة وأنهارها فقال: (إذا سألتكم الله تعالى فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة وفوقه عرش الرحمن)<sup>(٣)</sup>.

والمعنى العام للآية: مثل الجنة الموعودة

(١) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٦/ ١٠١-١٠٣.

(٢) مسند أحمد بن حنبل، ٥/ ٥٥، وأخرجه الترمذي، في كتاب صفة الجنة، باب ٢٧، عن محمد بن بشار، وقال: حسن صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب ٤، والترمذي في صفة الجنة، باب ٤، وأحمد في مسنده، ٢/ ٣٣٥.

للمؤمنين، وشأنها العجيب ما يتلى عليكم من جلائل النعم، في هذه الجنة أنهار من الماء النقي المتجدد الذي لم يداخله كدر، ولم يلحقه تغير في لون أو طعم لطول مكثه، وأنهار من لبن لم تطرأ عليه حموضة ولم يستكره له طعم، كما يحدث في ألبان الدنيا، وأنهار من خمر لذيق الطعم مستساغ المذاق، ليس فيها كراهية ريح، ولا غائلة سكر، ولا يجد شاربها إلا اللذة والمتعة، وأنهار من عسل خالص صرف مصفى من الشمع، ومن جميع الشوائب وفضلات النحل، وفيها غير هذا من كل الثمرات، وأصناف المطعومات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وكل ذلك من الوفرة والكثرة بحيث لا يخاف منه حرمان، ولا إقلال ولهم قبل هذا مغفرة واسعة من ربهم تمحو ذنوبهم، وترفع درجاتهم<sup>(٤)</sup>.

### من أنهار الدنيا في الجنة:

وإذا كان بعض المفسرين يرى أن أنهار الجنة هذه، التي ذكرت في الآية الكريمة، وصفت على سبيل التشبيه، فبعضهم يرى أن أنهار الماء حقيقة، وأنهار اللبن والعسل والخمر على طريقة التشبيه البليغ أو المماثلة.

قال أبو حيان الأندلسي: «ويظهر أن

(٤) التفسير الوسيط، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ٩/ ٩٥٨.

### أنهار الجنة<sup>(٣)</sup>

كما أورد القرطبي قول كعب الأحبار: نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة، ونهر الفرات نهر لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم، وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر<sup>(٤)</sup>.

وهذا الكلام أقصد قول كعب الذي أورده القرطبي له علاقة بالحديث الصحيح قبله، وإن كان آخره وهو خروج هذه الأنهار من نهر الكوثر لم أعثر له على أثر، والله أعلم.

القصد بالتمثيل هو إلى الشيء الذي يتخيله المرء عند سماعه. فههنا كذا، فكأنه يتصور عند ذلك اتباعاً على هذه الصورة، وذلك هو مثل الجنة<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عاشور: «فأما إطلاق الأنهار على أنهار الماء فهو حقيقة، وأما إطلاق الأنهار على ما هو من لبنٍ وخمرٍ وعسلٍ فذلك على طريقة التشبيه البليغ، أي: مماثلة للأنهار، فيجوز أن تكون المماثلة تامة في أنها كالأنهار مستبحرة في أحاديدها من أرض الجنة، فإن أحوال الآخرة خارقة للعادة المعروفة في الدنيا، فإن مرأى أنهار من هذه الأصناف مرأى مبهج. ويجوز أن تكون مماثلة هذه الأصناف للأنهار في بعض صفات الأنهار وهي الاستبحار. وهذه الأصناف الخمسة المذكورة في الآية كانت من أفضل ما يتنافسون فيه ومن أعز ما يتيسر الحصول عليه، فكيف الكثير منها، فكيف إذا كان منها أنهار في الجنة<sup>(٢)</sup>».

أقول: ومع ذلك فإن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم دلنا بوضوح على أنه في الدنيا أنهار من أنهار الجنة.

فقد ذكر البغوي بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من

(٣) أخرجه مسلم في الجنة، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة، رقم ٤٢٨٣٩ / ٢٦٨٣.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٦ / ٢٣٧.

(١) البحر المحيط، لأبي حيان ٩ / ٤٦٦، والتفسير المنير، الزحيلي ٢٦ / ١٠٠.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٦ / ٩٥.

## لِّلنَّاسِ وَمَا يَقُولُهَا إِلَّا الْمَكْلُومُونَ ﴿٤٣﴾

[العنكبوت: ٤٣] (٢).

وذكر الله المثليين: المائي والناري- في سورة الرعد للحق والباطل. فقال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد: ١٧].

شبه الوحي الذي أنزله من السماء لحياة القلوب بالماء الذي أنزله لحياة الأرض بالنبات، وشبه القلوب بالأودية، والسيل إذا جرى في الأودية احتتمل زبدًا وغشاء، فكذلك الهدى والعلم إذا سرى في القلوب أثار ما فيها من الشهوات ليذهب بها، وهذا هو المثل المائي في قوله: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وهكذا يضرب الله الحق والباطل (٣). وهذا المثل مضروب لمن عمل عملاً لوجه الله تعالى من صدقة أو غيرها، ثم عمل أعمالاً تفسده، فمثله كمثل صاحب هذا البستان الذي فيه من كل الثمرات، وخص منها النخل والعنب لفضلهما وكثرة منافعهما، لكونهما غذاء وقوتاً وفاكهة وحلوى، وتلك الجنة فيها الأنهار الجارية

## الأنهار في المثل القرآني

المثل في الأدب: قول محكي سائر، يقصد به تشبيه حال الذي حكى فيه بحال الذي قيل لأجله، أي: يشبه مضربه بمورده. ويطلق المثل على الحال والقصة العجيبة الشأن. وبهذا المعنى فسر لفظ المثل في كثير من الآيات. كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ

مَاسِينٍ﴾ [محمد: ١٥].

أي: قصتها وصفتها التي يتعجب منها (١). وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة، منها: التذكير والوعظ، والحث والزجر، والاعتبار والتقرير، وترتيب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس.

وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيقه، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر.

قال تعالى ممتناً على عباده بضرب الأمثال لما تضمنته من فوائد: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم: ٥٨].

وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي ١/ ٤٨٧.

(٣) مباحث في علوم القرآن، للقطان ص ٢٩٤.

(١) مباحث في علوم القرآن، للقطان ص ٢٩١.



لكان ذلك عظيمًا وخطره جسيمًا، فلهذا أمر تعالى بالتفكر وحث عليه (٢).

ومن الأمثال التي لها صلة بالأنهار في القرآن قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (٣٥) [الرعد: ٣٥].

يقول تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ الذين تركوا ما نهاهم الله عنه، ولم يقصروا فيما أمرهم به، أي: صفتها وحقيقتها ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أنهار العسل، وأنهار الخمر، وأنهار اللبن، وأنهار الماء التي تجري في غير أخدود، فتسقى تلك البساتين والأشجار فتحمل من جميع أنواع الثمار. ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ دائم أيضًا، ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي: عاقبتهم ومآلهم التي إليها يصيرون، ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ فكم بين الفريقين من الفرق المبين!!؟ (٣).

كذلك من الأمثال التي لها صلة بالأنهار قوله تعالى: ﴿وَأَصْرَبَتْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِحَدِيثِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَخَفَقْتَهُمَا خَلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ (٣٢) ﴿كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ مَاتَتْ أَكْلُهَا وَلَمْ تَنْظُرْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا﴾ (٣٣) [الكهف: ٣٢-٣٣].

وتصوير المثل كما حكى القرآن:

(٢) المصدر السابق ص ١١٤.

(٣) المصدر السابق ص ٤١٩.

التي تسقيها من غير مؤنة، وكان صاحبها قد اغتبط بها وسرته (١).

ثم إنه أصابه الكبير فضعف عن العمل وزاد حرصه، وكان له ذرية ضعفاء ما فيهم معاونة له، بل هم كل عليه، ونفقته ونفقتهم من تلك الجنة، فبينما هو كذلك إذ أصاب تلك الجنة إعصار، وهو الريح القوية التي تستدير ثم ترتفع في الجوى، وفي ذلك الإعصار نار، فاحترقت تلك الجنة، فلا تسأل عما لقي ذلك الذي أصابه الكبير من الهم والغم والحزن، فلو قدر أن الحزن يقتل صاحبه لقتله الحزن، كذلك من عمل عملاً لوجه الله فإن أعماله بمنزلة البذر للزروع والثمار، ولا يزال كذلك حتى يحصل له من عمله جنة موصوفة بغاية الحسن والبهاء، وتلك المفسدات التي تفسد الأعمال بمنزلة الإعصار الذي فيه نار، والعبد أحوج ما يكون لعمله إذا مات، وكان بحالة لا يقدر معها على العمل، فيجد عمله الذي يؤمل نفعه هباءً منثورًا، ووجد الله عنده فوفاه حسابه، والله سريع الحساب، فلو علم الإنسان وتصور هذه الحال وكان له أدنى مسكة من عقل، لم يقدم على ما فيه مضرته ونهاية حسرته، ولكن ضعف الإيمان والعقل وقلة البصيرة يصير صاحبه إلى هذه الحالة، التي لو صدرت من مجنون لا يعقل

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١١٤.

## الأنهار والابتلاء

الابتلاء وسيلة تمييز الصفوف وتمحيص القلوب؛ جعله سنة ماضية، فحمل الأمانة لا يصلح له كل الناس، بل يحتاج إلى قوم مختارين، وهم الصفوة الذين يعدون لهذا الأمر إعدادًا خاصًا ليحسنوا القيام به.

ومن النتائج المترتبة على سنة الابتلاء لاحقًا: سنة التمحيص، فالمؤمن من جهة يتعرض للمحنة، فيصقل معدنه من أثرها، والمنافق من جهة ثانية لا يستطيع الصمود أمام الفتنة، فينكص على عقبيه؛ ولهذا جعل الله التمحيص معبرًا لتنقية الصف المؤمن من أدياء الإيمان، فيقع به التمييز بين الدر الثمين والخرز الخسيس.

قال تعالى ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقد أدرك أهل العلم والبصيرة هذه الحقيقة؛ فعندما سئل الإمام الشافعي رحمه الله: أيما أفضل للرجل: أن يمكن أو يبتلى؟ فقال: لا يمكن حتى يبتلى.

أولًا: ابتلاء الله لجنود طالوت بالنهر:

من حوادث الابتلاء المتعلقة بالأنهار:

واضرب أيها الرسول مثلًا لهؤلاء المشركين بالله الذين طلبوا منك طرد المؤمنين من مجلسك، ذلك المثل هو حال رجلين، جعل الله لأحدهما جنتين، أي: بستانين من أعناب، محاطين بنخيل، وفي وسطهما الزروع والأشجار المثمرة. ﴿كَانَا الْجَنَّتَيْنِ مَانَتِ أَكْلَهُمَا﴾ أي: أخرجت ثمارها، ولم تنقص منه شيئًا في كل عام.

﴿وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا﴾ أي: وشققنا وسط الجنتين نهرًا، تتفرع عنه عدة جداول، لسقي جميع الجوانب<sup>(١)</sup>.

ويورد ابن الجوزي في مورد المثل رواية عطاء عن ابن عباس، قوله: هما ابنا ملك كان في بني إسرائيل، توفي وتركهما، فاتخذ أحدهما الجنان والقصور، وكان الآخر زاهدًا في الدنيا، فكان إذا عمل أخوه شيئًا من زينة الدنيا، أخذ مثل ذلك فقدمه لآخرته، حتى نفد ماله، فضر بهما الله عز وجل مثلًا للمؤمن والكافر الذي أبطرته النعمة<sup>(٢)</sup>.

إذن فقد وردت الأنهار في المثل القرآني في أكثر من موضع، للمقابلة بين الحق والباطل في المثل المائي والناري، وللتذكير والوعظ في النهر الذي فجره الله وسط الجنتين، وللتشويق إلى أنهار الجنة، وللاعتبار والتقرير والثبات على الإيمان، وغير ذلك.

(١) التفسير الوسيط، الزحيلي ٢/ ١٤٢٤.

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ٨٣.

ما ذكره القرآن الكريم من ابتلاء الله عز وجل بني إسرائيل بالنهر وعدم الشرب منه، والقصة بدأت عندما طلبوا من نبيهم القتال، وأن يبعث لهم ملكًا يقاتلون معه؛ لرفع الظلم الواقع عليهم.

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنَافِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأُتِينَا قُلُوبًا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ إِنْ تُولَؤْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة: ٢٤٦].

وهذه القصة حدثت بعد وفاة موسى عليه السلام، والنبي الذي سأله أن يبعث لهم ملكًا هو شمويل بن بال بن علقمة، ويعرف بابن العجوز، ويقال فيه: شمعون. قاله السدي، وإنما قيل: ابن العجوز؛ لأن أمه كانت عجوزًا، فسألت الله الولد، وقد كبرت وعقمت فوهبه الله تعالى لها، ويقال له أيضًا: شمعون.

قال وهب بن منبه: لما قال الملأ من بني إسرائيل لشمويل بن بال ما قالوا، سأل الله تعالى أن يبعث إليهم ملكًا ويدله عليه، فقال الله تعالى له: انظر إلى القرن الذي فيه الدهن في بيتك، فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن، فهو ملك بني

إسرائيل فادهن رأسه منه وملكه عليهم. وكان طالوت دباغًا فخرج في ابتغاء دابة أضلها، فقصده شمويل عسى أن يدعو له في أمر الدابة أو يجد عنده فرجًا، فنش الدهن على ما زعموا، قال: فقام إليه شمويل فأخذه ودهن منه رأس طالوت، وقال له: أنت ملك بني إسرائيل الذي أمرني الله تعالى بتقديمه. ثم قال لبني إسرائيل: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وكان طالوت من سبط بنيامين، ولم يكن من سبط النبوّة، ولا من سبط الملك، وكانت النبوّة في بني لاوي، والملك في سبط يهوذا، فلذلك أنكروا، وقالوا: أأنى يكون له الملك علينا؟ أي: كيف يملكنا ونحن أحق بالملك منه؟! جروا على طريقتهم في التعتن مع الأنبياء، والانحراف عن أمر الله تعالى، وتعجبوا كيف يكون له الملك، وهم من سبط الملوك، هو ليس كذلك، هم أغنياء وهو فقير؟ فتركوا السبب الأقوى وهو قدر الله تعالى وقضاؤه السابق، فالأمر أمره والعبد عبده، والحلال ما أحل، والحرام ما حرم، والدين ما شرع، وليس للعبد إلا أن يستسلم ويقول: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

فنبههم قد صرح لهم وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ فساروا على درب إبليس عندما اعترض على الأمر



والعاصي والراضي والساخط، فيختار المطيع الذي يرجى بلاؤه في القتال، وثباته في معامع النزال، وينفي من يظهر عصيانه، ويخشى في الوغى خذلانه، فإن طاعة الجيش للقائد وثقته به من شروط الظفر، وأحوج القواد إلى اختبار الجيش من ولي على قوم وهم له كارهون، أو كان فيهم من يكرهه، فإذا وجد في الجيش من ليس متحداً معه يخشى أن يوضعوا خلاله ييغونه الفتنة ويسمونهم بالفشل.

فأخبر طالوت جنوده بأن سيمرون على نهر يمتحنهم به بإذن الله، فمن شرب منه فلا يعد من أشياعه المتحدين معه في أمر القتال. إلا أن يكون ما يشربه قليلاً وهو غرفة تؤخذ باليد، فإن هذا مما يتسامح فيه ولا يراه مانعاً من الاتحاد به والاعتصام بحبله، ومن لم يطعمه، أي: يذقه بالمرة فإنه منه، وهو الذي يركن إليه ويوثق به تمام الثقة، فالابتلاء سيكون على ثلاث مراتب:

الأولى: مرتبة من يشرب فيروى لا يبالي بالأمر، وحكمه أن يتبرأ منه.

الثانية: ومرتبة من يأخذ بيده غرفة يبل بها ريقه وهو مقبول في الجملة.

الثالثة: مرتبة من لا يذوقه البتة، وهو الولي النصير الذي يوثق باتحاده، ويعول على جهاده.

قال تعالى: ﴿فَقَرَّبْنَا إِلَهُ قَلِيلًا

المباشر بالسجود لآدم، وكان أول من قاس قياساً فاسداً في مواجهة النص، وقال: ﴿إِنَّا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ قد تصور القوم أن الملك حكر عليهم، وأن التقديم والتأخير تبعاً للغنى والفقر، وصادموا الوحي بذلك، وهم أهل تعنت؛ فقد صنعوا ذلك من قبل مع نبي الله موسى عليه السلام عندما أمرهم بذبح بقرة، فأكثرُوا وشددوا؛ فشدد الله عليهم.

قال ابن عباس: كان طالوت يومئذ أعلم رجل في بني إسرائيل وأجمله وأتمه، وزيادة الجسم مما يهيب العدو<sup>(١)</sup>.

قال تعالى ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّنْ فَتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَتْنَهُ كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

لما كان بنو إسرائيل من قبل كارهين لملك طالوت عليهم، ثم أذعنوا من بعد، وكان إذعان الجميع ورضاهم مما لا يمكن العلم به إلا بالاختبار والابتلاء، أراد الله أن يتلي هذا القائد جنده ليعلم المطيع

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣/ ٢٤٦.

**يَكُونُ** ﴿يَل بها ريقه في هذه الفلاة وشدة العطش، فلا بأس عليه في ذلك. قالوا - في حكمة الأمر بالاكْتفاء بالغرفة: - إنه اختبار لطاعتهم كما تقدم، كما أن فيه سلامة الجندي، فإن الإسراف في الشرب - عند مناجزة العدو - يضر ضرراً بليغاً.

**﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾** أي: فلم يمتثلوا ما أمرهم به طالوت، بل شربوا منه أكثر مما أمرهم به، إلا قليلاً منهم، نفذوا أمره فاغترف كل واحد منهم لنفسه غرفة واحدة<sup>(٢)</sup>.

وهؤلاء الذين يظنون أنهم ملاقو الله في الآخرة هم الذين آمنوا وجاوزوا النهر مع طالوت، قال ضعافهم: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، وقال أقوياءهم: كم من فئة قليلة إلخ... ثم اشتد بعضهم بعزيمة بعض، وكان من أمر انتصارهم ما يأتي في الآية التي بعد هذه، والعبارة لا تدل على أن الذين شربوا من النهر لم يجاوزوه، وإنما خص بالذكر الذين لم يشربوا؛ لأنهم لم يتخلفوا عن طالوت لأجل الشرب، فهم الذين جاوزوه معه مقتربين وهم الذين يعتدهم منه، ويتبرأ من المتخلفين العاصين.

(٢) التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ٤٢٣/١.

**﴿مِنْهُمْ﴾** ذلك أن القوم كانوا قد فسد بأسهم وتزلزل إيمانهم، واعتادوا العصيان فسهل عليهم عصيانهم، وشق عليهم مخالفة الشهوة وإن كان فيها هوانهم، ولم يبق فيهم من أهل الصدق في الإيمان والغيرة على الملة والأمة إلا نفر قليل **﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾** [سبأ: ١٣].

والعدد القليل من أهل العزائم يفعل ما لا يفعل الكثير من ذوي المآثم، كما يعلم من قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾** (١).

فلما خرج طالوت بالجنود من بيت المقدس، لقتال أعدائهم، قال لهم: إن الله مختبركم وممتحن مقدار صدقكم - في لقاء عدوكم، واستجابتكم لأوامر قائدكم - **﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾** يعترض طريقكم: أطلب منكم عدم الشرب منه، ليظهر منكم المطيع والعاصي، فإن طاعة القائد شرط أساسي للنصر، فمن غلبته شهوته وشرب من مائه، فليس من أتباعي؛ لأنه إذا عصاني اليوم، فهو أحرى أن يعصي أمري وقت اشتداد الحرب، فتحدث الهزيمة. ومن لم يذق ماءه استجابة لهذا الأمر وصبر، فإنه مني، ضالع معي في لقاء العدو، والرغبة في الانتصار عليه.

ثم استثنى من القسم الأول وهو: من شرب من النهر فقال: **﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾**

(١) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا ٣٨٦/٢.

كما علم من قوله في الابتلاء<sup>(١)</sup>.

والظاهر أن الملك لما علم أنه سائر بهم إلى عدو كثير العدد، وقوي العهد أراد أن يختبر قوة يقينهم في نصره الدين، ومخاطرتهم بأنفسهم وتحملهم المتاعب وعزيمة معاكستهم نفوسهم، فقال لهم: إنكم ستمرون على نهر، وهو نهر الأردن، فلا تشربوا منه فمن شرب منه فليس مني، ورخص لهم في غرفة يغترفها الواحد بيده يبل بها ريقه، وهذا غاية ما يختبر به طاعة الجيش، فإن السير في الحرب يعطش الجيش، فإذا وردوا الماء توافرت دواعيهم إلى الشرب منه عطشًا وشهوة، ويحتمل أنه أراد إبقاء نشاطهم؛ لأن المحارب إذا شرب ماء كثيرًا بعد التعب، انحلت عراه ومال إلى الراحة، وأثقله الماء<sup>(٢)</sup>.

امتنعهم بأمر الله ليتبين الثابت المطمئن ممن ليس كذلك، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ فهو عاص ولا يتبعنا؛ لعدم صبره وثباته ولمعصيته ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ أي: لم يشرب منه فإنه مني ﴿إِلَّا مَنْ أَغْرَفَ عُورَةً يَدِيهِ﴾ فلا جناح عليه في ذلك، ولعل الله أن يجعل فيها بركة فتكفيه، وفي هذا الابتلاء

ما يدل على أن الماء قد قل عليهم ليتحقق الامتحان، فعصى أكثرهم وشربوا من النهر الشرب المنهي عنه<sup>(٣)</sup>.

ومن بديع إيجاز القرآن: أن يحذف الشيء ويأتي في السياق بما يدل عليه، كما وصف الذين لم يشربوا بالإيمان مرة وباعتقاد لقاء الله تعالى مرة أخرى، فأعلمنا أن هذا الإيمان والاعتقاد هما سبب طاعة القائد وترك الشرب، وسبب الشجاعة والإقدام على لقاء العدو الذي يفوقهم عددًا<sup>(٤)</sup>.

إذن فقد جعل الله الأنهار سببًا للابتلاء، فابتلى بني إسرائيل بالنهر وعدم الشرب منه، اختبارًا لطاعتهم وثباتهم وهو أعلم.

### ثانيًا: ابتلاء الله لفرعون بجريان الأنهار من تحت قصوره:

الابتلاء سنة ربانية جارية إلى يوم القيامة، وهي سنة ثابتة من سنن الدعوات، وعلامة من علامات الصدق، والسير في الاتجاه الصحيح نحو تحقيق الأهداف، وكيف لا؟ والتاريخ يؤيد هذه الحقيقة، والقرآن يؤكدها ﴿وَأَسْبَلُونَكُمْ حَتَّىٰ نَقَرَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّعِيفِينَ وَنَبَلَّوْا أَعْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

ولقد خلق الله الإنسان في هذه الحياة ليختبره ويبتليه، وجعل حياته في هذه الدنيا حياة كد وكدح وكبد، فقال سبحانه موضحًا

(١) تفسير المنار، لمحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، ٢/ ٣٨٧.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٢/ ٤٩٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ١/ ١٠٨.

(٤) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا ٢/ ٣٨٧.



تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ [الزخرف: ٥٠].

خاف ميل القوم إلى موسى، فجمعهم ونادى بصوته فيما بينهم أو أمر منادياً ينادي بقوله: يا قوم أليس لي ملك مصر؟ لا ينازعي فيه أحد ولا يخالفني مخالفٌ ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ﴾ أي: من تحت قصري، والمراد: أنهار النيل.

وقال قتادة: المعنى: تجري بين يدي. وقال الحسن: تجري بأمرى، أي: تجري تحت أمري<sup>(٣)</sup>.

لما رأى الملاء من قوم فرعون الآيات تترى عليهم، وسخط ربك حالاً بهم: قال: ﴿يَتَأْتِيَ السَّاحِرُ﴾ [الزخرف: ٤٩]، قيل: هو خطاب تعظيم عندهم ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ من النبوة لئن كشفت عنا العذاب الذي نزل بنا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل، وإننا لمهتدون إلى الصواب، وإلى الحق الذي تدعو إليه، فلما كشفنا عنهم العذاب، فاجأوا الكشف عنهم بأنهم ينكثون العهود وينقضون المواثيق.

هذا ما كان من أمر القوم وخاصة الملاء منهم، أما فرعون ملك مصر فما هي أفعاله: ونادى فرعون في قومه بأن جمعهم في مكان واحد كالسوق مثلاً، أو جمع أشرفهم وهم بلغوا عنه فكانه نادى فيهم

(٣) فتح القدير، الشوكاني، ٤/ ٦٤٠.

هذه المعاني: ﴿بَنَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) [الملك: ٢-١].

ومن مظاهر سنة الابتلاء: ابتلاء الله لفرعون بجريان الأنهار من تحت قصوره، وقد تحدثت بعض آيات القرآن الكريم عن هذا النوع من الابتلاءات، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْفَوْرَ الْيَسَّ لِي مَلِكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١].

يقول تعالى مخبراً عن فرعون وتمرده وعتوه وكفره وعناده، أنه جمع قومه فنادى فيهم متبجحاً مفتخراً بملك مصر وتصرفه فيها أليس لي ملك مصر ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ﴾ أي: أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك، يعني: وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء<sup>(١)</sup>.

﴿مِنْ تَحْتِ﴾ أي: من تحت قصري. ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أعميتم عن مشاهدة ذلك<sup>(٢)</sup>. ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ قيل: لما رأى تلك الآيات، وهي الآيات التسع التي ذكرها في سورة الإسراء وغيرها، استجاب الله بعد تكذيبه بها دعاء موسى، وهو المشار إليه قبل هذه الآية في قوله

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٢١٢.  
(٢) الموسوعة القرآنية، لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري، ١١/ ١٥٥.

جميعاً، فماذا قال؟ قال: يا قوم أليس لي ملك مصر؟ استفهام المراد منه التقرير، أي: قروا بما تعرفونه من أنى ملك مصر.

وهذه الأنهار - فروع نهر النيل - تجرى من تحتي، وتسير بأمرى، وأنا صاحب التصرف في كل ما ينتج عن جريها من مزروعات وغيرها. وعلى أنها كانت تجرى من تحت قصره، ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ تلك الحقائق؟ بل تبصرون أنى أنا خير من هذا الذي هو فقير وضعيف<sup>(١)</sup>.

ومن المعلوم أن التاريخ تحكمه سنن الله الكونية، ومن لم يفقه هذه السنن لا يفقه التاريخ، إذن فالتاريخ ليس أحداثاً تتعاقب، بقدر ما هو أسباب تنتج عنها نتائج بإذن ربها، حيث نذكر طرقاً من مقصود الآيات التي تتحدث عن هلاك فرعون وجنوده غرقاً، بعد أن شق الله سبحانه وتعالى البحر لموسى ومن معه من المؤمنين، فبين الله سبحانه وتعالى وقيعتهم المأساوية حيث أغرقوا جميعاً فتركوا ديارهم، وما تزخر به من أسباب الرفاهية والسعادة.

قال تعالى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦]

وكان إغراقهم انتقاماً من الله لذاته لأنهم

(١) التفسير الواضح، ٣/ ٣٩٩، لمحمد محمود حجازي، نشر: دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٣ هـ.

جحدوا انفراد الله بالإلهية، أو جحدوا إلهيته أصلاً، وانتقاماً أيضاً لبني إسرائيل؛ لأن فرعون وقومه ظلموا بني إسرائيل وأذلّوهم واستعبدوهم باطلاً.

والإغراق: الإلقاء في الماء المستبحر الذي يغمر الملقى فلا يترك له تنفساً، وهو بيان للانتقام وتفصيل لمجمله، فيكون المعنى: فأردنا الانتقام منهم فأغرقناهم، واليم: البحر والنهر العظيم، والمراد به هنا بحر القلزم، المسمى في التوراة بحر سوف، وهو البحر الأحمر. وقد أطلق (اليم) على نهر النيل في قوله تعالى: ﴿أَن أَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَأَقْذِفُهُ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ﴾ [طه: ٣٩].

وقوله: ﴿فَإِذَا خِفْتُ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: ٧].

فالتعريف في قوله: اليم هنا تعريف العهد الذهني عند علماء المعاني المعروف بتعريف الجنس عند النحاة؛ إذ ليس في العبرة اهتمام ببحر مخصوص ولكن بفرد من هذا النوع<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا بعدما اقتحم فرعون بفرسه الطريق الذي شقه الله لموسى في البحر، ولما خرج موسى بقومه إلى الشاطئ الشرقي أطبق الله البحر على فرعون وجنوده فكانوا من المغرقين، لقد ذهب كل هذا مع غمضة عين، وهو الآن كالريشة

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٩/ ٧٥.

جثة فرعون وهو ذليل صاغر، هذا في الدنيا، وفي الآخرة النار والعذاب الأليم ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَتَسَّ الْأَوْرَدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨].

فهو الزعيم عليهم حين كان ملكًا، وسيكون زعيمهم يرد بهم النار يوم القيامة، فتعسا لهذا الزعيم وتعسا لأتباعه المضلين.. وهكذا مصير أتباع كل زعيم ضال<sup>(١)</sup>.

الواقع أن أي نوع من العقوبة فيه آية على القدرة، وفيه تنكيل بمن وقع بهم، ولكن تخصيص كل أمة بما وقع عليها يثير تساؤلًا، ولعل مما يشير إليه القرآن إشارة خفيفة هو الآتي.

أما فرعون، فقد كان يقول: ﴿الْيَسَّ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَٰذَا الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ [الزخرف: ٥١].

فلما كان يتناول بها جعل الله هلاكه فيها، أي: في جنسها<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا يتبين لنا أن الله ابتلى فرعون بابتلاءات عدة، والتي كان منها جريان الأنهار من تحت قصوره، لكنه لم ينجح في كل هذه الابتلاءات، وقدر الله أن يكون بلاؤه بالوسيلة التي كان يتكبر بها ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَتَّبِعُوا آلِيَّ مُلْكٌ مِصْرَ وَهَٰذَا الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

(١) قصص القرآن الكريم في سيرة سيد المرسلين، لمحمد منير الجنباز ص ١٧٧.

(٢) أضواء البيان، الشقيطي ٢٥٩/٨.

في بحر متلاطم، لقد خلع من فكرة عظيمة الملك وترفع السلطان، ونسي كل العز الذي رآه بهذه اللحظات الحالكة، كأنه لم يعيش بين الرياشي وفاخر الأثاث، والإحاطة بالأتباع والجنود لحظة واحدة، إنه رهين الحالة القاتلة رهين الغرق، ضعف ما بعده ضعف، فعاد سريعًا إلى ما خبأته الذاكرة من دعوة موسى وأنها الحق، لكنه كان قد عاند وكابر، والآن حصص الحق، وينبغي أن تظهر الحقيقة وألا تضيق في خضم العناد فصرخ بأعلى صوته ﴿ءَاَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

الآن أيها الطاغية.. أيها الفرعون.. ولو قلتها قبل ذلك لكان لك شأن آخر، ﴿ءَالْفَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

الآن وبعد سنين طويلة من الصد والجدال، والتكبر والغطرسة والتقتيل والصلب تعلنها، وقد اعترفت بالضعف الإنساني، وأنه لا حول لك ولا قوة، وأن الله جلت قدرته هو القوي الخالق هو المعبود بحق، ثم كان الفصل من الله ﴿قَالِ يَوْمَ تُنَادَىٰ بِدَعْوَتِكَ لَئِن كُنْتَ مِن خَلْقِ ٱلْءَايَةِ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَفَٰكِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

وطفت جثة فرعون فوق الماء، وجرفتها الأمواج نحو الساحل، ورأى المستضعفون



﴿٥١﴾ [الزخرف: ٥١].

ثالثًا: ابتلاء الله للأمم الهالكة بالأنهار:

إن سنة الله لا تحابي أحدًا، وليس لفردٍ ولا لمجتمعٍ حصانةٌ ذاتيةٌ، وحين تقصر أمةٌ في توقي أسباب المصائب العامة، فإن عليها أن تتقبل نتيجة التقصير، والسعيد من اتعظ بغيره، والغافل من غفل عن نفسه حتى وعظ به غيره، وليست أمةٌ بمنأى عن العذاب إذا عقدت أسبابه، ولا في مأمنٍ من العقاب إن سلكت سبيله وفتحت للذنوب أبوابه، ولذلك أكثر الله تعالى من وعظ هذه الأمة بمصارع الأمم الغابرة، وحذر الأمنين من مكروه الذين لا يقدرُونَ الله حق قدره، ولا يقفون عند نهيه وأمره.

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

ومن مظاهر الابتلاء التي لها صلة بالأنهار في القرآن الكريم: ابتلاء الله للأمم الهالكة بهذه الأنهار.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿أَمْ يَرَوْنَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

قال الشوكاني: القرن يطلق على أهل كل عصرٍ، سموا بذلك لاقترانهم، أي: ألم يعرفوا بسماع الأخبار ومعاناة الآثار كم أهلكنا من قبلهم من الأمم الموجودة في عصرٍ بعد عصرٍ لتكذيبهم أنبياءهم. وقيل: القرن مدَّةٌ من الزمان. وهي ستون عامًا أو سبعون أو ثمانون أو مائة على اختلاف الأقوال،... مكن له في الأرض: جعل له مكانًا فيها، ومكنه في الأرض: أثبت فيه،... أي: مكناهم تمكينًا لم نمكنه لكم، والمعنى: أنا أعطينا القرون الذين هم قبلكم ما لم نعطكم من الدنيا وطول الأعمار وقوة الأبدان وقد أهلكناهم جميعًا. فإهلاككم - وأنتم دونهم - بالأولى.

قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ يريد المطر الكثير، والمدرار: صيغة مبالغة تدل على الكثرة، وجريان الأنهار من تحتهم معناه: من تحت أشجارهم ومنازلهم، أي: أن الله وسع عليهم النعم بعد التمكين لهم في الأرض فكفروها، فأهلكهم الله بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم، أي: من بعد إهلاكهم قرنًا آخرين فصاروا بدلًا من الهالكين، وفي هذا بيان لكمال قدرته سبحانه وقوة سلطانه وأنه يهلك من يشاء ويوجد من يشاء<sup>(١)</sup>.

قال تعالى واعظًا للمشركين المعاندين ومحذرًا لهم أن يصيبهم من العذاب والنكال

(١) فتح القدير، الشوكاني، ١١٦/٢.

التي بينونها على ضفافه، أو في الجنات والحدائق التي تتفجر خلالها، فيتمتعون بالنظر إلى جمالها، ويسائر ضروب الانتفاع من أمواها.

﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ أي: فكان عاقبة أمرهم لما كفروا بتلك النعم وكذبوا الرسل أن أهلكنا كل قرن منهم بسبب ذنوبهم التي كانوا يقتربون بها. ﴿وَأَنْشَأْنَا﴾ أي: أوجدنا من بعد الهالكين من كل منهم قرناً آخرين يعمرن البلاد ويكونون أجدر بشكر نعم الله عليهم فيها<sup>(٤)</sup>.

قال الرازي: «اعلم أنه تعالى رتب أحوال هؤلاء الكفار على ثلاث مراتب:

فالمرتبة الأولى: كونهم معرضين عن التأمل في الدلائل: والتفكر في البيّنات.

والمرتبة الثانية: كونهم مكذّبين بها، وهذه المرتبة أزيد مما قبلها؛ لأن المعرض عن الشيء قد لا يكون مكذباً به، بل يكون غافلاً عنه غير متعرض له فإذا صار مكذباً به فقد زاد على الأعراض.

والمرتبة الثالثة: ونهم مستهزئين بها؛ لأن المكذب بالشيء قد لا يبلغ تكذيبه به إلى حد الاستهزاء، فإذا بلغ إلى هذا الحد فقد بلغ الغاية القصوى في الإنكار فبين تعالى أن أولئك الكفار وصلوا إلى هذه المراتب

الديني ما حل بأشباههم ونظرانهم، من القرون السالفة الذين كانوا أشد منهم قوة، وأكثر جمعاً وأكثر أموالاً وأولاداً واستغلاًلاً للأرض، وعماراً لها، فقال: ﴿الْمِيزَانُ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا نَرْمِكُنْ لَكُرًّا﴾ أي: من الأموال والأولاد والأعمار، والجاه العريض والسعة والجنود، ولهذا قال: ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ أي: شيئاً بعد شيء ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ أي: أكثرنا عليهم أمطار السماء وينابيع الأرض، أي: استدراجاً وإملاءً لهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: بخطاياهم وسيئاتهم التي اجتروحوها<sup>(١)</sup>.

﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ أي: من تحت أمكنتهم، والمراد أنهم: أصحاب البساتين والقصور والمنتزهات<sup>(٢)</sup>.

قال القرطبي: والمعنى: وسعنا عليهم النعم فكفروها. ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: بكفرهم فالذنوب سبب الانتقام وزوال النعم. ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ أي: أوجدنا، فليحذر هؤلاء من الإهلاك أيضاً<sup>(٣)</sup>.

أي: وسخرنا لهم الأنهار وهي مجاري المياه الفائضة وهديناهاهم إلى الاستمتاع بها بجعلها تجري دائماً من تحت مساكنهم

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢١٥/٣.

(٢) غرائب القرآن، للنيسابوري ٥١/٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٩٢/٦.

(٤) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا ٢٥٧/٧.

الثلاثة على هذا الترتيب<sup>(١)</sup>.

وقد وصف الله أولئك المهلكين بسبب اجتراحهم للسهوات بصفات ثلاث لم تتوفر للمشركين المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم.

وصفهم أولاً بأنهم كانوا أوسع سلطاناً، وأكثر عمراً، وأعظم استقراراً، كما يفيد قوله تعالى ﴿مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ نَفَعٍ﴾.

قال صاحب الكشف: «والمعنى: لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا قوم عاد وثمود وغيرهم من البسطة في الأجسام، والسعة في الأموال، والاستظهار بأسباب الدنيا»<sup>(٢)</sup>. ووصفهم ثانياً- بأنهم كانوا أرغد عيشاً، وأسعد حالاً، وأهناً بالآ، يدل على ذلك قوله تعالى:

﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ أي: أنزلنا عليهم المطر النافع بغزارة وكثرة، وعبر عنه بالسماء لأنه ينزل منها.

ووصفهم ثالثاً- بأنهم كانوا منعمين بالمياه الكثيرة التي يسرون مجاريها كما يشاءون، فينون مساكنهم على ضفافها. ويتمتعون بالنظر إلى مناظرها الجميلة، كما يرشد إليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ أي: صيرنا الأنهار تجري

من تحت مساكنهم.

ولكن ماذا كانت عاقبة هؤلاء المنعمين بتلك النعم الوفيرة التي لم تيسر لأهل مكة؟ كانت عاقبتهم- كما أخبر القرآن عنهم- ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ يَوْمَهُمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾ أي: فكفروا بنعمة الله وجحدوا فأهلكناهم بسبب ذلك؛ إذ الذنوب سبب الانتقام وزوال النعم<sup>(٣)</sup>.

إنها حقيقة ينساها البشر- إلا من عصم الله- وعندئذ ينحرفون عن عهد الله وعن شرط الاستخلاف؛ ويمضون على غير سنة الله؛ ولا يتبين لهم في أول الطريق عواقب هذا الانحراف، ويقع الفساد رويداً رويداً، وهم ينزلقون ولا يشعرون، حتى يستوفي الكتاب أجله؛ ويحق وعد الله، ثم تختلف أشكال النهاية: مرة يأخذهم الله بعذاب الاستئصال- بعذاب من فوقهم أو من تحت أرجلهم كما وقع لكثير من الأقوام، ومرة يأخذهم بالسنين ونقص الأنفس والثمرات كما حدث كذلك لأقوام مودة يأخذهم بأن يذيق بعضهم بأس بعض؛ فيعذب بعضهم بعضاً، ويدمر بعضهم بعضاً، ويؤذي بعضهم بعضاً، ولا يعود بعضهم يأمن بعضاً؛ فتضعف شوكتهم في النهاية؛ ويسلط الله عليهم عبداً له- طائعين أو

(٣) التفسير الوسيط، لمحمد سيد طنطاوي ٣٩/٥.

(١) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي ١٢/ ١٣٠.

(٢) الكشف، الزمخشري ٨/ ٢.



### لمسات إعجازية في الأنهار

المقصود باللمسات الإعجازية في الأنهار: ما يدركه ويتوصل إليه العلماء المتخصصون من حقائق خاصة بالأنهار، وقد ألمح القرآن الكريم إليها سابقاً.

#### اللمسة الأولى:

في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجَرًّا مَتَّجِرًا ۝٥٣﴾ [الفرقان: ٥٣].

قال الإمام الطبري: «يقول تعالى ذكره: والله الذي خلط البحرين، فأمرج أحدهما في الآخر، وأفاضه فيه. وأصل المريج الخلط، ثم يقال للتخلية: مرج؛ لأن الرجل إذا خلّى الشيء حتى اختلط بغيره، فكأنه قد مرجه.

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في معنى قوله، دون القول الذي قاله من قال: معناه: إنه جعل بينهما حاجزاً من الأرض أو من اليبس؛ لأن الله تعالى ذكره أخبر في أول الآية أنه مرج البحرين، والمرج: هو الخلط في كلام العرب على ما بينت قبل، فلو كان البرزخ الذي بين العذب الفرات من البحرين، والملح الأجاج أرضاً أو ييبساً لم يكن هناك مرج للبحرين، وقد أخبر جل ثناؤه أنه مرجهما، وإنما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الأجاج عن إفساد هذا

عصاة- يخضدون شوكتهم، ويقتلعونهم مما مكنوا فيه؛ ثم يستخلف الله العباد الجدد ليبتليهم بما مكنهم.

وهكذا تمضي دورة السنة، السعيد من وعى أنها السنة، ومن وعى أنه الابتلاء؛ فعمل بعهد الله فيما استخلف فيه، والشقي من غفل عن هذه الحقيقة، وظن أنه أوتيها بعلمه، أو أوتيها بحيلته، أو أوتيها جزافاً بلا تدبير! <sup>(١)</sup>

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٢/ ١٠١٠.

الطبيعية والإحيائية عن النهر وعن البحر، رغم تداخل المياه وتحركها بينهما، بحسب مد البحر وجزره، وفيضان النهر وجفافه، وكأن حاجزًا يفصل بيئة المصب عن بيئة النهر وبيئة البحر، ويحافظ على هذه المنطقة بخصائصها المميزة، رغم عوامل المزج، كالمد والجزر وحالات الفيضان والانحسار التي تعتبر من أقوى عوامل المزج.

ويتصنيف البيئات الثلاث، باعتبار الكائنات الحية التي تعيش فيها تعتبر منطقة المصب حجر على معظم الكائنات الحية التي تعيش فيها، لأن هذه الكائنات لا تستطيع أن تعيش إلا في منطقة المصب ذات الخصائص المميزة، وهي في نفس الوقت منطقة محجورة على معظم الكائنات التي تعيش في البحر والنهر؛ لأن هذه الكائنات تموت إذا دخلتها بسبب اختلاف خصائصها. وجه الإعجاز في الآية الكريمة: كل تجمع مائي يمكن أن يسمى بحرًا، والبحر العذب الفرات أو شديد العذوبة هو النهر، والبحر المالح الأجاج أو شديد الملوحة هو المحيط أو البحر المالح، وبهذا خرج ماء المصب؛ لأنه مزيج بين الملوحة والعذوبة فلا ينطبق عليه وصف عذب فرات ولا ملح أجاج، وبهذه الأوصاف تحددت حدود الكتل المائية الثلاث: ماء النهر، وماء البحر، وبينهما ماء منطقة المصب التي

العذب الفرات، مع اختلاط كل واحد منهما بصاحبه. فأما إذا كان كل واحد منهما في حيز عن حيز صاحبه، فليس هناك مرج، ولا هناك من الأعجوبة ما ينبه عليه أهل الجهل به من الناس، ويذكرون به، وإن كان كل ما ابتدعه ربنا عجيبيًا، وفيه أعظم العبر والمواعظ والحجج البوالغ<sup>(١)</sup>.

أي: وهو وحده الذي مرج البحرين يلتقيان البحر العذب وهي الأنهار السارحة على وجه الأرض والبحر المالح وجعل منفعة كل واحد منهما مصلحة للعباد، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ أي: حاجزًا يحجز من اختلاط أحدهما بالآخر فتذهب المنفعة المقصودة منها ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ أي: حاجزًا حصينًا<sup>(٢)</sup>.

هذا عذب فرات بالغ العذوبة، وهذا ملح أجاج بالغ الملوحة والمرارة، وجعل بينهما برزخًا حائلًا، ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ أي: وسترًا مستورًا يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر<sup>(٣)</sup>.

الحقيقة العلمية التي لها صلة بالآية: بعد مسح لعدد كبير من مناطق اللقاء بين الأنهار والبحار، اكتشف الباحثون أن منطقة المصب بيئة متميزة، في صفاتها

(١) جامع البيان، ابن جرير الطبري ٢٨١/١٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥٨٥.

(٣) الموسوعة القرآنية، لإبراهيم الأبياري ٤٢١/١٠.

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ [النمل: ٦١].

جاء في تفسير هذه الآية: أي: قارة ساكنة ثابتة، لا تميد ولا تتحرك بأهلها، ولا ترجف بهم، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة، بل جعلها من فضله ورحمته مهادًا بساطًا، ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك.

﴿وَجَعَلَ خِلَافَهَا أَنْهَارًا﴾ أي: جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة، شقها في خلالها، وصرفها فيها ما بين أنهارٍ كبارٍ وصغارٍ وبين ذلك، وسيرها شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا، بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم، حيث ذرأهم في أرجاء الأرض، وسير لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون إليه.

﴿وَجَعَلَ لَهَا رِيسًا﴾ أي: جعل لها ريسًا، أي: جبالًا شامخة ترسي الأرض وتثبتها؛ لئلا تميد بهم.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ أي: جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزًا، أي: مانعًا يمنعها من الاختلاط لئلا يفسد هذا بهذا، وهذا بهذا، فإن الحكمة الإلهية تقتضي بقضاء كل منها على صفته المقصودة منه، فإن البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس، والمقصود منها: أن تكون عذبة زلالًا يسقى الحيوان والنبات والشمار منها.

والبحار المالحة هي المحيطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب، والمقصود منها أن يكون ماؤها ملحًا أجاجًا؛ لئلا يفسد الهواء

وصفت في الآية الكريمة بكونها برزخًا أو حاجزًا يمنع طغيان صفة ملوحة البحر على النهر أو عذوية النهر على البحر، وميزت بيئة المصب بأنها حجر على ما فيها من كائنات حية محجورة على ما يعيش خارجها في النهر أو البحر، وهذا يعني تمايز البيئات الثلاث في الصفات الطبيعية وفي الكائنات الحية. ويشهد التطور التاريخي في سير علم البحار بعدم وجود معلومات دقيقة عن البحار قبل ١٤٠٠ عام، ومع ذلك وصف القرآن الكريم بدقة منطقة مصبات الأنهار، فبين أنها بيئة متميزة في خصائصها الطبيعية والإحيائية عن بيئة النهر وبيئة البحر وكشف أنه رغم تداخل المياه وتحركها الدائم في اتجاه البحر تظل تلك الخصائص ثابتة، فمن أين تلك المعرفة في القرآن بلا تقنية وأدوات علمية إن لم يكن من عند الذي أحاط بكل شيء علمًا<sup>(١)</sup>.

### اللمسة الثانية:

في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَافَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رِيسًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي بَلَدٍ

(١) مقال علمي بعنوان: مصبات الأنهار، على الشبكة العنكبوتية للإنترنت، موقع: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابط: [http://www.eajaz.org/index.php/Scientific\\_Miracles/Earth\\_and\\_Estuaries](http://www.eajaz.org/index.php/Scientific_Miracles/Earth_and_Estuaries)، ٢٠٠ / Marine Sciences



موضوعات ذات صلة:

الإسراف، الاقتصاد، الزكاة، المال، المن

بريحها<sup>(١)</sup>.

وقال الزحيلي: جعل الأرض مستقرًا للإنسان وغيره، لا تميد ولا تتحرك بأهلها، وجعل فيها الأنهار العذبة الطيبة لسقاية الإنسان والحيوان والنبات، وجعل فيها جبالًا ثوابت شامخة ترسي الأرض وتثبتها لئلا تميد بكم، وجعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزًا، أي: مانعًا يمنعها من الاختلاط، لئلا يفسد هذا بذلك، لتبقى الغاية من التفرقة بينهما متحققة، فإن الماء العذب الزلال لسقي الإنسان والحيوان والنبات والثمار، والماء المالح في البحار؛ ليكون مصدرًا للأمطار، وليبقى الهواء فوقه نقيًا صافيًا لا يفسد بالرائحة الكريهة التي تحدث عادة في تجمعات المياه العذبة<sup>(٢)</sup>.

يحدث أحيانًا أن ينشأ النهر في أرض ممهدة، قبل تكون سلسلة الجبال بعدة ملايين من السنين، وبعد أن تنتصب الجبال يستمر النهر في تحد غريب، في تعميق مجراه قاطعًا السلسلة الجبلية، وتشير الآية القرآنية إلى تلك الحالة إشارة معجزة:

تأمل الترتيب البديع؛ من قرار الأرض، إلى خلق الأنهار، إلى نشأة الجبال الرواسي، ثم تكوين الحاجز بين البحرين<sup>(٣)</sup>.

موقع: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابط: <http://www.eajaz.org/index.php/ScientificMiracles/>، Earth، and، Marine، Sciences Estuaries، ٢٠٠٠.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/ ١٨٣.

(٢) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٠/ ١٢.

(٣) مقال بعنوان: الأنهار في القرآن، لحسني حمدان، على الشبكة العنكبوتية للإنترنت،